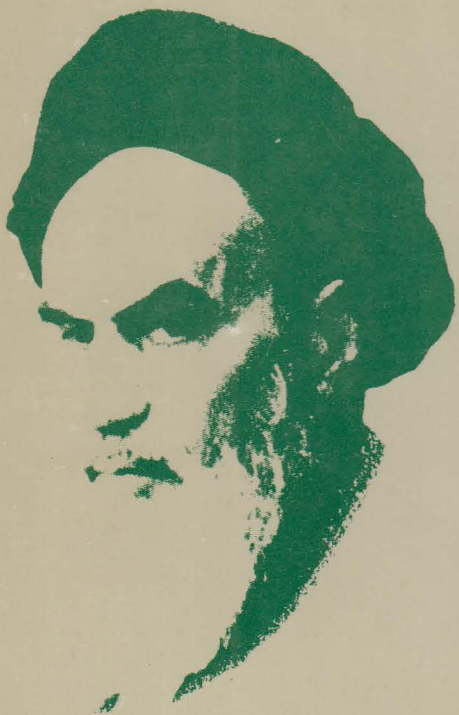

مكتبة
مؤمن قريش

الجذور الفلسفية للفكر المثالي
عند الإمام الخميني

السيد عباس الحسيني القائممقامي

افكار الامام الخميني

نهمین کنفرانس اندیشه اسلامی
۹-۱۲ بهمن ۱۳۷۰ هـ.ش
المؤتمر التاسع للفكر الإسلامي
٢٣-٢٦ رجب ١٤١٢ هـ.ق
9th Islamic Thought
Conference Jan 29. 1 Feb 1992

مكتبة
مؤمن قريش
momenquraish.blogspot.com

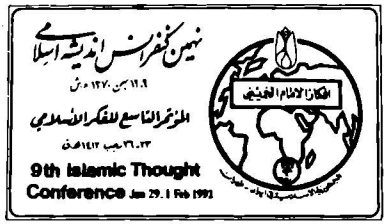

الجذور الفلسفية للفكر المثالي
عند الإمام الخميني

السيد عباس الحسيني القارئ مقامي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحديث عن النزعة المثالية والتفكير المثالي تعود جذوره الى زمن بعيد يناهز قدم البحوث التي كتبت في علم الاجتماع والمعرفة.

صحيح ان جمهورية افلاطون المثالية والمدينة الفاضلة للفارابي كانا عينتين للمجتمع المثالي ولكن الحديث عن المجتمع المثالي ينطوي ــ بالضرورة ــ على الحديث عن الانسان المثالي في الوقت نفسه.

ولايخفى ان هناك خلافاً كبيراً في هذا المجال وثمة آراء متباينة في هذا المضمار، وقد انكر بعضهم وجود أي مثال في مجال الحياة الانسانية، بل ان المثاليين أنفسهم قد اختلفوا فيمابينهم اختلافاً فاحشاً في تصو ير (المثال)، و بلغ الاختلاف الكبير في مجال رسم (المثل) حداً وصل حد الاختلاف الجوهري وصار كل واحد منهم يرفض رفضاً تاماً مارسمه الآخر.

ولكن هذه البحوث مع كل ما لها من اتساع وشمولية غالباً ما تمت في أجواء علمية وفلسفية محدودة، ولم يجر التطرق والاهتمام بآثارها وتبعاتها الاجتماعية والسياسية.

اما في عصرنا الحاضر، و بعد انتصار الثورة الاسلامية الرائع في ايران بقيادة زعيمها الفذ سماحة الامام الخميني (رحمة الله عليه) فقد اتخذ الكلام في الاتجاه المثالي طابعاً آخر، وكانت له آثار وتبعات طيبة على الصعيدين الاجتماعي والسياسي، وعلى صعيد واسع كانت خيراته مشهودة على مستوى الحياة في الساحة العالمية.

وقد عقدنا العزم في هذا المقال على القاء نظرة عابرة واجمالية على هذا النمط من الفكر، مع الاستفادة من العطاء الفكري والفيوضات التي جاد بها الامام الراحل (رضوان الله تعالى عليه) علنا نوفق في ازاحة شيء من غبار الغموض عنها.

عشق الانسان ذاتياً للحياة والبقاء

ان أحد أشهر التعاريف الواردة للحياة والتي يطرحها علماء العلوم الطبيعية هو: (مجموعة الاعمال والتصرفات التي تقاوم في مقابل الموت)[1].

وهذا تعريف واحد فحسب من بين الكثير من التعاريف المختلفة التي قدمها العلماء للحياة، و يرى فيها كلها تقريباً عاملا مشتركاً وهو خصوصية الديناميكية والحيوية وسمة النشاط والدأب، بحيث عرفها بعضهم هكذا: (الفاعلية والنشاط الدائب والكفاح المتواصل للكائن الحي)[2].

ومن مجموع هذه التعاريف، وخصوصاً من التقابل والتعارض الموجود بين (الحياة) و(الموت) في التعريف الاول الذي هو أشهر التعاريف كلها؛ يعلم ان مفهوم (الحياة) يقترن بـ(الخلود) و(البقاء) دائماً، وانه على تضاد مستمر مع (الفناء).

و بغض النظر عن مفهومها البايولوجي، يمكن تعريف (الحياة) بـ(البقاء) وقد تم بحث هذا الامر في محله، ولقد اكدنا مراراً[3] ان الالفاظ توضع في مقابل المعاني العامة والمفاهيم الكلية، ولا مناص من جعل (الموت) ضداً لـ(الحياة) طبعاً بالمفهوم العام والكلي، أي بمعنى (الفناء) و(العدم)!

هذا في الوقت الذي نعتقد ان البحث في موضوع (هل ان (الفناء) و(العدم) يتحققان بالموت الطبيعي المادي ــ بمعنى توقف نشاط خلايا البدن) أم انهما أمران آخران اشمل واوسع منه) بحث مستقل ويجدر الانهماك به في فرصة مستقلة أخرى.

ان كل انسان يمكنه ان يتحسس لديه الشعور بالانجذاب نحو (الحياة)

وعشقها في داخله، مثلما اصبح معلوماً أن هذا الانجذاب إلى الحياة هو عين العشق للبقاء والخلود.

أجل، ان الخلود والبقاء هو مطلب الانسان ومطمحه الفطري والذاتي، وان وجود بعض القوى والغرائز الانسانية من قبيل غريزة الانجاب والتكاثر وحتى غريزة الغضب يندرج في نفس هذا النطاق[٤].

ومما يبرهن على ذلك؛ كل هذه الجهود المتزايدة والمساعي الدائبة لغرض مد خط العمر واطالة أمد الحياة، وكل هذا الانهماك والمثابرة الجادة والنشاط المتواصل في ميدان الحياة الفردية والاجتماعية لبني الانسان.

ملاك معرفة وصوابية النظرة الكونية

من أهم ملاكات معرفة النظرة الكونية وتشخيص مدى صوابيتها في مدرسة من المدارس الفكرية، ينبغي الاشارة إلى: الاستجابة الصحيحة للاحتياجات الواقعية الفطرية لبني الانسان وتلبية متطلباتها، ومن بينها: الاستجابة ولـ (عشق الخلود) وتوجيه هذا الامر الوجهة الصحيحة، بمعنى ان نظرة كونية موفقة وناجحة ــ على الاقل من حيث الجاذبية التي توجدها لدى الانسان إليها ــ هي النظرة التي تقدم التفسير الصائب لعالم الوجود وللانسان ايضاً، بحيث تكون متضمنة على تأييد واقعية هذه الاحتياجات والمتطلبات الفطرية اولا، وثانياً ان تكون منطوية في برنامجها ومنهجها الحياتي والمعاشي (الايديولوجي) على أفضل الطرق وأصوب الاساليب التي تصب في مجال الاستجابة الشاملة لهذه المتطلبات والسعي لتوفير تلك المتطلبات.

ومعروف ان أي منهج يمكنه ــ في نفس الوقت الذي يكون فيه صحيحاً وصائباً ــ أن يعب مسيرة حياة الانسان الامتداد والاستمرار اكثر و يضمن له المزيد من (الحياة) يكون اكثر انسجاماً مع الفطرة واتساقاً معها.

وان أي مدرسة تنهمك في تلبية هذه الحاجة الواقعية والاستجابة لمستلزماتها، عليها أن تنظم تلك الاستجابة بشكل يضمن الاستمرار والبقاء

للحياة الانسانية. وكلما قل هذا الضمان بالاستمرار وكلما اصطدم بعائق الحياة المادية اكثر بعداً عن كونه استجابة طيبة وتلبية صادقة للفطرة والنفس الانسانية.

ومن الواضح جداً أن ادامة (الحياة) انما يحصل في ضوء منح الحياة مفهومها الصحيح، ومنحها مفهومها الصحيح رهين برسم الهدف النهائي المثل الاعلى الذي يمكن بلوغه مما هو أسمى من الانسان. والنتيجة هي ان صنع المثال هو الاستجابة الوحيدة للعشق المتفاقم عند الانسان نحو الحياة.

بناء على ذلك، فمع غض النظر عن بقية النواحي التحليلية والفلسفية، اذا شاءت مدرسة ما أن تحصل على جاذبية اكثر لها بين بني الانسان، وفي الوقت نفسه، لا تتعرض تلك الجاذبية للتلاشي والضياع تدريجياً فعليها الاستجابة بأفضل وجه لهذين الحاجتين الفطريتين لدى الانسان، والاستجابة الصحيحة تتمثل في:

اولا: ان تتوصل في مقام تحليلها للشخصية الانسانية وكشف مكنوناتها إلى معرفة احتياجاته الفطرية.

ثانياً: ان يتضمن برنامجها تبيان افضل السبل التي يمكن الانسان سلوكها وطيها، وبالتالي ارضاء حاجته الفطرية وسدها.

ان المثال مصدر للايمان ومنشأ للدوافع، والحوافز ومنبع لتشعشع نور الامل في النفوس البشرية والقلوب الانسانية ــ من خلال التعلق بالمثال وعشقه يتولد (الايمان)، وبالايمان تحصل الحياة على معناها الحقيقي ومفهومها الصحيح، وقد روي عن تولستوي قوله (ان الايمان هو الامر الذي يعيش به الانسان).

مغزى الخوف من الموت

وكما مضت الاشارة سلفاً فان (الموت الطبيعي) هو (فقدان الحياة المادية) ومن هناك فقد افترض أنه أمرعدمي ويساوي (الفناء والعدم) وبالتالي فانه عدو (الخلود) وقد جعل التضاد بينه وبين (الحياة) ومثل هذا التصور عن (الموت) ألقى في روع بني الانسان الخوف وأدى إلى ظاهرة (خشية الموت) في

اولئك الذين ينظرون إلى مثل هذا المشهد من الموت.

ومن هذا المنطلق فان على مصوري (المثال البشري) وراسميه أن يأخذوا بنظر الاعتبار عنصر (الكمال)، اذ ان المثال المرسوم مهما كان باعثاً على الحركة ومنعشاً للأمل فانه حينما يواجه بموت الانسان سوف ينتهي و يتلاشى، وأقصى ما يمكن تصوره له من أثر هو رفع مستوى نوعية حياته، بيد انه يظل بانتظار مواجهة مستقبل مبهم ومظلم.

اذا وجد مثال يحطم حواجز التحديدات ويجعل الانسان متصلا بـ(اللانهاية)، و يقضي حتى على نقطة الموت المظلمة ــ بمعنى العدم ــ و يتجاوز حدود الحياة المادية، فان هذا المثال ينطوي على نور أمل ابدي يبقى دائم التلألؤ، والمهمة الاساسية لأي مثال في الوهلة الاولى (تصحيح رؤية الانسان إلى الموت وتبيان حقيقته الخالدة) بحيث لايغدو (الموت) نقيضاً للحياة بل ينظر إليه على انه (ممد) لها.

التنظيم المثالي للعلوم الانسانية والاجتماعية

من خلال اكتشاف الفطرة الميالة إلى المثال لدى الانسان تصبح العلوم التي لها علاقة مباشرة بالانسان ــ عبر المركزية والأهمية التي تحصل عليها ــ (هادفة) و يزول انفلاتها وتستعيد ترابطها الوثيق واتصالها القوي ونتيجة لذلك فان المعارف المختلفة في شتى العلوم يساعد بعضها بعضاً وتظهر إلى الوجود معارف اعمق وأدق اخرى.

تأخر الغرب في مضمار العلوم الانسانية

ان ما نلحظه اليوم من تخلف العالم الغربي في نمو العلوم الانسانية والاجتماعية باعتراف مفكرية أنفسهم، بعد مضي سنين طويلة، والركود الذي اصيبت به علوم من قبيل علم الاجتماع وعلم النفس وغيرها، وهو ركود قاتل وفوضى شديدة.. كل ذلك ناشيء عن عدم التعرف الدقيق والصحيح على القيم

والمثل الاصيلة للانسان او في حالة التعرف عليها التطبيق الخاطىء لها مع القيم والمثل الخارجية الزائفة.

هل ان التكنولوجيا سبب تخلف الغرب وانحطاطه؟!

خلافاً للعلوم الانسانية، تشهد كل يوم التطور السريع للتكنولوجيا في الغرب اذ ان مداها ومجالها يقتصر على (المادة) فحسب وهو أمر يرونه بأعينهم المحدودة الرؤية للظواهر.

ان ما يقال من أن مشاكل الانسان الغربي المعاصر ناشئة من التطور والازدهار التكنولوجي السريع ليست فكرة صحيحة، بل ــ وكما صرح بعض المفكرين ــ ان الاشكال يكمن في الاسلوب السائد والطريقة المستخدمة في الانتفاع من التكنولوجيا. وهذا الاشكال ناشيء من الفوضى الموجودة في العلوم الانسانية.

انهم لو كانوا قد ظفروا بالمعرفة الدقيقة لجميع الابعاد الوجودية للانسان ولم يحصروا شخصيته على المجال المادي الصرف، ولو تعرفوا على الاحتياجات الفطرية المقومة لشخصية الانسان الانسانية وادركوا عطشه اللامتناهي نحو الكمال للتكنولوجيا والصناعة ــ بالضرورة ــ دورهما المهم في خدمة المثل والقيم المقدسة وغير المادية و بالتالي فان العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية كلاهما على حد سواء سوف يسيران سيراً حقيقياً و واقعياً نحو التكامل.

اما في الوقت الحاضر فانه حتى النزعة المثالية للانسان قد أصبحت ــ إثر الغفلة عن المجال المعنوي ــ في خدمة التكنولوجيا ولم تستجب الا لتعطشه نحو (الربح والفائدة)، ولما اعتبر (الربح والفائدة) هدفه النهائي فحسب وقيمته ومثله الحقيقية فقد توجه الاهتمام نحو (زيادة الانتاج) واثرها (زيادة الاستهلاك)، ومن أجل زيادة الاستهلاك فقد تم تكثيف الاهتمام بالاحتياجات المزيفة (الاستهلاك المفروض) الذي يتناقض والاحتياجات المعنوية والمثل الانسانية للمرء، وصار ذلك هدفاً بحد ذاته، وصار الانسان

الغربي يصاغ و يبنى بهذا الشكل. وان رسم المثال وكشفه لايؤدي فقط إلى حصول الانسجام بين العلوم الانسانية بل يبعث على توحيد البشر أنفسهم أيضاً.

ففي ظل وجود مثال وانموذج ثابت ومقدس فحسب يمكن تحويل العداوات والنزاعات إلى الاخوة والوحدة، اذ لايمكن تصور امكانية قيام الوحدة دون وجود قاسم مشترك ونقطة اشتراك[٥]. ونقطة الاشتراك الوحيدة التي يمكن جمع بني الانسان حولها هي (المثال الواحد) الانساني، وان التشتت هو ثمرة الابتعاد عن هذا العنصر.

وصول المدارس الاومانية الى الطريق المسدود

من بين المدارس الموجودة في العصر الحاضر تعد الافكار الالحادية واللاشيئية[٦] ماحية لأي أمل من النفس الانسانية، عبر تفسيرها الاجوف للوجود، وهي توصل الانسان ــ الذي يحمل في كيانه نيران عشق البقاء والتعلق بالخلود ــ إلى ازمة روحية ومعنوية وطريق مسدود منذ البداية، ولا تترك امامه سوى خيار واحد وسبيل واحد لايمكنه ان يسلك غيره وهو (الانتحار)[٧].

وهكذا الامر بالنسبة للمدارس الاومانية[٨] كالليبرالية والوجودية التي تظهر إلى الوجود من محطة الاباحية واللاأدرية، فهي تقدم تحليلا للانسان لايتناول منه سوى (يومه الحاضر) وتعجز عن ضمان (غده) وتأمين مستقبله[٩].

ان اللذين لايفكرون الا بـ(اليوم) ولا ينظرون الى (الغد) سيضطرون إلى هدم كل ما بنوه (بالأمس) وتخريب ما أنشأوه البارحة وان تخطيطهم الجديد لايشمل الا اليوم الحاضر وحسب، ومن خلال اسعاد يومه الحاضر، يتم الاكتفاء بالتحليلات المرحلية للانسان، ولا يتم التفكير سوى بـ(رجل اليوم) و(امرأة اليوم) او على الأكثر (رجل العام) و(امرأة العام) ــ من وجهة نظرهم طبعاً ــ كأقصى تقدير، وهم يرون أن مثل هذا الرجل والمرأة او البنت والولد (شخصاً جديراً بالتقدير).

و بالجملة، فان هذه الافكار بعيدة عن فطرة بني الانسان وأنفسهم،

وليس لديها أي معرفة مسبقة بهما البتة، وأصحاب هذه الافكار (جهال) في زي (العلماء)، وهم لايقضون إلا اياماً قليلة متصرمة مع الانسان ولا يكونون اثناءها متعمقين في اعماقه وانما موجودون إلى جانبه فحسب، وما يلبثون ان يفارقوه.

الاسلام وصياغة المثل

وفي هذا الصدد، ينبغي البحث عن فكر عارف يكون (واقعياً) بكل معنى الكلمة و يتمكن من رصد كل ما له حقيقة واقعية، و يأخذ بنظر الاعتبار النزعة المثالية والرغبة في الخلود عند الانسان اولا وثانياً يقوم بتشخيص الهدف وتحديد الغاية الخارجية المحددة المتطابقة مع مثاله وانموذجه الفطري، و يندرج في نطاق ضمان الخلود له.

ان الاسلام الذي يعتبر تبلوراً للمدارس التوحيدية والمناهج الالهية واكملها كلها يرفض بشدة أي نزعة نحو الفناء والزوال و يتحدث عن (البقاء) و(الخلود) و يبني نظرته الكونية على اساس (الاستمرار) والبقاء.

وفي هذه الرؤية، لايعد (الموت) نقطة انتهاء (الحياة)، وليس هذا فحسب وانما يعتبر (الموت) نقطة بداية الحياة الابدية الخالدة في عالم أسمى.

والنبي الاكرم وضمن رفضه امكانية فناء الانسان يعتبر (الموت) مجرد انتقال من عالم إلى عالم آخر و يقول:

(ماخلقتم للفناء بل خلقتم للبقاء وانما تنقلون من دار إلى دار). و بعض الحكماء مثل الشيخ الرئيس ابو علي بن سينا يعتبر الخوف من الموت مقصوراً على الغافلين عن حقيقته فيقول:

(ان من يفر من الموت ويخشاه انما هو بسبب انه لايعلم اين سينتهي به الامر، او لكونه يظن ان نفسه تصاب بالهلاك بمجرد تحلله و بطلان تركيب جسده، و بهذا فانه غافل عن بقائها وعن كيفية المعاد، ولذلك فانه لايفر ــ في الحقيقة ــ من الموت او يخشاه بل ان جهله هو الذي يخيفه و يلقي الهلع في روعه)[١٠].

بمثل هذا التفكير بدأ الاسلام دعوته وأطلق على كتابه (القرآن) ــ وهو يشتمل على البرامج الحياتية والمعاشية ــ اسم (الذكر) فقال: «**إنا نحن نزلنا الذكر**» وأطلق على نبيه صفة (المذكر) فقال: «**إنما أنت مذكر**» و بهذا الشكل فانه ــ ومنذ البداية ــ اعلن معرفته السابقة ببني الانسان وكونه نابعاً من عمق انفسهم، ومن خلال كشف (الفطرة التوحيدية) «**فطرة الله التي فطر الناس عليها**» بادر إلى طرح «التوحيد الفطري): «**فأقم وجهك للدين حنيفاً**» ولم ير ان برنامجه للحياة وتعاليمه ليست شيئاً يفرض على الانسان من خارج كيانه، بل انه أظهر أن الانسان لديه (المعرفة بالدين) وانها (نابعة من داخله ومن ذاته).

و بناء على ذلك فانه اعلن ــ من خلال ثقته بانتصاره وبمقتضى كونه يتناغم مع نفوس البشر و ينسجم مع ضمائرهم الطاهرة ــ خلوده وأبديته وعدم امكانية زواله وانه (خاتم الاديان) ورسوله (خاتم الانبياء والمرسلين) و بهذا الشكل فقد بادر الاسلام إلى رسم المثل والقيم، وليس مثاله امراً آخر يختلف عن المثل الاصيلة والواقعية للانسان، وان(المثال الانساني) و(المثال الاسلامي) كلاهما أمر واحد.

وفي هذا السياق، فان العلماء والمفكرين الاسلاميين الذين تربوا في مثل هذا الدين وهذه المدرسة وعرفوا سبيله من خلال القرآن قبضوا ايديهم عن الارتزاق والاستزادة من الافكار والمدارس الاجنبية وتوجهوا بتمنياتهم ورغباتهم ليبحثوا عن مصداق لها في داخل الذات البشرية والنفس الانسانية وأخذوا يستمدون العون من القرآن و يعثرون على شتى المكتشفات، ومن بين مكتشفاتهم المهمة والاساسية التي تعتبر اسمى ذخيرة مكنونة في ذات الانسان (الشعور بالميل نحو الكمال ونيله) و(البحث عن المطلق) و(السعي للمثل والقيم).

سعي الانسان الى الكمال

الحكيم صدر المتألهين الشيرازي يقول ضمن اشارته إلى عشق الانسان

وحبه الفطري لـ(الحياة) ان البشر ميال إلى (البقاء) و(الخلود)، ثم يستند إلى هذا الميل الفطري في اثبات (العالم الخالد) فيقول:

(ان كون النفوس ميالة الى البقاء تواقة إلى الخلود دليل على أن لهذه النفوس وجوداً اخرو ياً آخر يبقى خالداً دوماً، لأن خلود هذه النفوس امر محال في عالم (الطبيعة) هذا، ومن جانب آخر، فان لم يكن هناك عالم آخر باق (يمكنه أن يلبي هذه الحاجة الفطرية لدى الانسان) لما أودعت هذه الرغبة في مكنون ذاته، اذ في هذه الحالة يكون هذا الميل والانجذاب (إلى الخلود والبقاء) مجرد عبث ولغو، بينما نعلم انه لايوجد أي امر باطل او لغو في الطبيعة، كما قال بذلك الحكماء السالفون)[11].

هذا العشق (الذاتي) والحب الفطري كان مصدراً لكثير من الآثار المرئية والتحركات المشهودة وان الامل الوطيد بالحياة المادية، والحياة الطبيعية، يندرج في اطار نفس هذا العشق الفطري للحياة والبقاء[12].

والنقطة التي يجدر الاهتمام بها؛ العلاقة والصلة بين مفهومي (الحياة) و(الكمال)، وهوما أشير إليه ضمنياً في كلام بعض الحكماء والعارفين أيضاً[13]. بمعنى ان بني الانسان تواقون ــ بشكل عام ــ إلى الكمال، ميالون إليه، وساعون نحوه، وهذا التوق والميل ضامن للبقاء و يتجاوب مع العشق للحياة لدى الانسان.

وفي هذا المضمار، فان العارف الكامل والعزيز الراحل سماحة الامام الخميني (رضوان الله تعالى عليه) الذي ارتوى من كوثر القرآن الزلال واعترف من بحر معارفه وفيض علومه، ادرك الاحتياجات الانسانية والتطلعات الاصيلة ادراكاً واقعياً، ثم بادر إلى تلبيتها والاستجابة إليها عبر الاطر الاسلامية و ينبغي أن تعتبر ان رمز موفقية (الامام الخميني) هو نفس رمز نجاح الاسلام، اذ ان نداءه كان ينسجم مع نداء الفطرة الانسانية وكان مقولة اللسان المعبر بصدق عن النفوس الضامئة (للحقيقة) التائهة عنها ــ في الوقت نفسه ــ.

وكانت ثورته في الخامس عشر من خرداد (الخامس من حزيران ١٩٦٣)

تستمد رصيدها من ذخيرة غنية في اعماق النفوس الانسانية وانطلقت متخطية حدود الزمان والمكان، وفي الواقع ان تلك (الانطلاقة) لم تكن هي (البداية الاولى) ومن هنا فينبغي اعتبار الامام الخميني المبين والمعبر عن التطلعات والمثل الانسانية الاصيلة في جميع ابعادها الواقعية الحقيقية.

وفي هذا البحث المختصر المقتضب، نحاول اولا تبيان المثل الانسانية من وجهة نظر ذلك الامام الهمام (قدس الله نفسه الزكية) ثم نحاول أن نتلمس بعض السبل والمسالك التي سار فيها واوصلته الى تلك المثل والتطلعات فقدمها للبشرية على شكل اصول وقيم اسلامية.

الامام الخميني ره والمثل الانسانية.

قدمنا القول آنفاً ان اكتشاف الميول الانسانية نحو المثل والقيم وانطباقها مع التوجهات البشرية نحو الله ليست مقولة مستحدثة ومما تم اكتشافه حديثاً، وانما ــ ومنذ بدء نضج الفجر الاسلامي ــ أخذت تشاهد في كلام المفكرين والعلماء بشكل متفرق وغير مبوب، لكنها لم تحظ بالبيان والشرح بشكل مبوب ومستقل سوى في كلام سماحة الامام الخميني (رضوان الله تعالى عليه) واستاذه الجليل المرحوم آية الله الميرزا محمد علي شاه آبادي (رحمة الله عليه) وعلى الأقل ان كاتب هذه السطور لم يظفر بشيء من هذا القبيل عند سواهما.

وانطلاقاً من كون كلام المرحوم الشاه آبادي هو الذي الهم الامام (قدس الله سره) افكاره في هذا الصدد، سنقوم ــ بادىء ذي بدء ــ بايراد كلامه ثم نقوم بنقل كلمات الامام الفذ.

يقول المرحوم شاه آبادي:

(اننا اذا راجعنا فطرتنا نجدها عاشقةً للكمال بل وللخير المطلق، بحيث انها لو حصلت على كل ماعلى وجه هذا الكوكب الكروي من خير وعلمت – او رأت أن هناك احتمالاً مهما كان صغيراً – بوجود خير في القمر لطلبته، ولو ظفرت بالقمر ونالت مافيه من خير لتطلّعت إلى مافي كوكب آخر من الخير.

ولو استطاع الانسان أن ينال كل ما في عالم الملك ثم علم أن بعض الانبياء قد انبأ بوجود ما هو اكمل مما في عالم الملك في عالم الملكوت لتطلّعَ إليه وطلبه، حتى لو لم تثبت نبوّتهم وصدقهم.

وبعد هذه المراجعة للفطرة تبرز لنا عدة امور، هي:

اولا: ليس كل ما نعثر عليه ونناله هو معشوقنا (الحقيقي) لأن مقياس كون ـ اوعدم كون ـ الشيء معشوقاً واقعياً هو أنه في ساعة الوصال بين الطرفين يجد العاشق الطمأنينة ويحصل على السكينة في كنف المعشوق و يركن إلى الاستقرار بحصوله على كل ما كان يرومه ــ وهو وصال المعشوق ــ وبما ان المرء كلما نال شيئاً طفق يبحث من جديد عن شيء آخرع اعلى منه مرتبة؛ فاننا نستنتج أن ذلك الشيء لم يكن معشوقه.

ثانياً: ليست هناك أية نهاية لعشق الانسان مطلقاً، اذ ثمة ما هو اجل من كل جمال، واكمل من كل كمال دائماً (و يبقى المرء في سير مضطرد من حسن إلى ما هو احسن) حتى لو كان وجود الاجل والاكمل مجرد احتمال.

ثالثاً: ان هذا الظمأ الفطري لن يزول مطلقاً، في اي حين من الاحيان، من النفس الانسانية، على الرغم من سلوك كل المسالك، والوصول لدرجة من النصب تقرب من المهالك.

والآن، و بعد هذه المراجعة (للفطرة) تأمل فيها وتبحر، ثم اسألها: ياذاتي وحقيقتي (لقد وهبتك كل ما كنت ترومينه من الكمال، وأشربتك كل ما كنت ظامئة له من الجمال، ولكنك لم تكتفي ولم تشبعي ولم ترتوي فماذا تريدين ــ اذن ــ وبماذا تطمعين؟

وحينذاك ستسمع نداء الفطرة يجيب قائلا:

انني عاشقة للكمال المحض والجمال الصرف)[١٤].

و بعد ذلك، يشير (رضوان الله عليه) إلى ان الفطرة امر عام و يوجد لدى

كل انسان، معترضاً على كون التوحيد فطرياً، فيقول: (ان العشق من الصفات الاضافية «التي تحتاج إلى ظرف ووعاء» ووجود المعشوق «الحالي» يقتضي انه مثلما انك أنت عاشق بالفعل، وموجود الآن، فعليك الاقرار بوجود معشوق فطرتك في عالم الوجود، مثلما ان مولانا ــ ابا عبد الله الحسين (ع) ــ قال:

«عميت عين لا تراك»)[١٥].

وحينذاك فانه يتحدث بالتفصيل عن كون الدين فطرياً[١٦].

وفي هذا الصدد، فان امامنا الراحل قد ترسم خطى استاذه معتمداً على وجود هذا الميل الفطري والبحث المعرفي فاثبت التوحيد الفطري والدين الفطري، مصرحاً ان الاستدلال بهذا الشكل على كون التوحيد فطرياً لم يسبق له مثيل، معتبراً انه طريق مستقل عن الطريق الذي سلكه باقي المفسرين الشيعة والسنة.

يقول (رضوان الله تعالى عليه):

(وفي هذا المقام، ابين ما استفدته من محضر الشيخ العارف الكامل شاه آبادي ــ دام ظله ــ وهو متفرد في هذا الميدان، على الرغم من أن بعضه قد ورد على شكل رموز واشارات هنا وهناك في كتب بعض المحققين من اهل المعارف، و بعضه قد خطر في ذهني القاصر)[١٧].

وكما قيل آنفاً، فان سماحته يرى ان البرهان الفطري ــ بأعتبار عموميته ودوامه ــ وكونه ذاتياً ــ برهان قو يم ولايقبل الانكار والتخلف، وهو يفيد الجميع، بحيث انه ليس من العبث الادعاء بأن البرهان الاكثر تكرراً والاوفر حظاً من الاهتمام من لدن الامام اثناء كلامه في باب العرفان هو هذا البرهان ذاته.

وكان سماحته كثيراً ما يتحدث عنه في خطاباته العامة وفي رسائله ووصاياه العرفانية، واخيراً فانه ــ ونظراً للأهمية الفائقة والتأثير الكبير الذي

يملكه هذا البرهان ــ استخدمه كمفتاح لفتح قلب رأس هرم المعسكر المادي في العصر المعاصر؛ ذلك القلب الذي علاه الصدأ والرين، حيث ذكر به الزعيم السوفيتي ميخائيل غورباتشوف ليزيح الستار عن فطرته التي يعلوها الحجاب:

يقول الامام (رض) في كتاب (الاربعون حديثاً):

(ومن الامور المخفية طي الحجب هوانه على الرغم من انعدام الاختلاف في الامور الفطرية ــ منذ الازل وحتى الابد ــ ولكن الناس غافلون ــ نوعاً ما ــ عن حقيقة كونهم متفقين لكنهم يظنون، مع ذلك، بوجود الاختلاف مع بعضهم بعضاً، الا ان يتم تنبيههم إلى ذلك. وحينذاك فانهم يدركون أنهم متفقون في الحقيقة ولكن يتراءى أنهم مختلفون. وقد اشير إلى هذا المعنى في ذيل الآية الشريفة من قوله ــ تبارك وتعالى ــ: «ولكن اكثر الناس لايعلمون») [١٨].

و ينبغي اعتبار الاشارة إلى برهان الفطرة في رسالته التي وجهها إلى غورباتشوف؛ تدخل في اطار هذا (التنبيه).

ومن وجهة نظر الامام الخميني (قدس الله نفسه الزكية) فان جميع بني الانسان ساعون ــ ذاتاً ــ وحريصون على نيل الكمال، بل والكمال المبرأ من كل نقص او خلل ــ أي الكمال المطلق! ــ واذا حصل على كمال يشوبه شيء من النقص وقنع به لفترة ما فان الناحية الكمالية هي وحدها التي ارضت ميوله وانجذب إليها، والا فانه في الوقت الذي يبقى منجذباً إلى الكمال يحس بالانزعاج من النقص المقرون به.

يقول الامام الخميني (قدس الله نفسه الزكية) في هذا الصدد:

(ان احد الامور التي انطوت عليها فطرة جميع ذرية بني آدم، ولا يوجد في العائلة البشرية ولو شخص واحد مستثنى من ذلك الامر، ولايمكن أن تغيره

أي من العادات والاخلاق والمذاهب والمسالك او تحدث فيه خللا، وهذا الامر هو (عشق الانسان للكمال)، وما من حركة ولا سكنه ولا جهدأو سعي يبذله الانسان إلا ونرى ان الدافع الذي يحركه للقيام به هو(عشقه للكمال)، وما من سعي حثيث يبذله المرء في مجال من المجالات إلا و يدفعه للقيام به عشقه للكمال)[١٩].

و يقول في مناسبة اخرى:

(ان كل إنسان بل كل مخلوق عاشق ــ بالفطرة ــ للكمال وكاره للنقص! فانكم انما تطلبون العلم لانكم تبحثون عن الكمال فيه، ولذلك فان من غير الممكن ان تقتنع فطرتكم وتكتفي بأي مستوى علمي تصلون إليه، اذإنها بمجرد ان تعلم بوجود مرتبة أعلى تشد الرحال اليه ونعقد العزم على نيله، وتبقى متنفرة من هذا العلم المشوب بالنقص والمحدودية لديها، وان ما فتنت به وعشقته انما هومن حيث كماله لامن حيث نقصه.

وان كان ثمة شخص مقتدر فانه يهتم بزيادة قوته واقتداره و يسعى سعياً جاداً للوصول الى مستوى اعلى من الاقتدار والقوة وهو نفسه لايدري أن «القوة المطلقة» انما هي «للموجود المطلق»)[٢٠].

ومن وجهة نظره فان نيل الكمال المطلق والوصول الى الحسن والخير

والمحض هو المثال الاعلى والتطلع الذي يحمله الانسان و يتحرك نحو الحصول عليه ونيله اعتماداً على عشقه الفطري له، وبما ان هذا المثال والتطلع نابع من ذات الانسان وليس مفروضاً عليه من خارجه اوملقى في روعه فانه غير قابل للزوال، ولايمكن ان تخلو منه الحياة البشرية لحظة واحدة.

وهذا العشق الذاتي لدى بني الانسان للمثال والانموذج بمثابة الوقود الذي يمده بامكانية الحركة والسعي الحثيث و يبث في قلبه نور الامل و ينفي عنه

أي حالة من السكون او الركود والجمود، ويمده بالحوافز والدوافع للمبادرة والاقدام.

ومن هنا فان سماحته يرى ان أي حركة تصدر عن الانسان انما هي ناشئة من هذه الرغبة والاندفاع الفطري لديه. و بناء على ذلك، يمكن القول ان (النزعة المثالية للانسان) تمنح للحياة معناها، وهي منشأ السعي الدائب الحثيث.

يقول الامام الخميني (رضوان الله تعالى عليه) ضمن اشارته، الى هذا الامر:

(انه ما من حركة او سكنة، ولا جهد او سعي يبذله افراد هذا النوع الانساني إلا ونرى ان الدافع الحافز له للقيام به هو عشقه للكمال) [٢١].

و يقول (رحمة الله):

(كل من يؤدي عملا ما، انما يؤديه لانه يجد فيه شيئاً مفيداً، و يعتبره كمالا «له» فالجميع ساعون للحصول على الكمال) [٢٢].

و يقول (طاب ثراه):

(وما من عمل يؤدى إلا من أجله، وفي سبيل الوصول اليه، وما من خطوة يتم رفعها الا نحو الكمال المطلق) [٢٣].

وانطلاقاً من ان النزعة البشرية نحو المثال والكمال امر ذاتي باطني فانه يقع خارج نطاق الاثبات والنفي من خلال الاستدلال البرهاني الطبيعي المعتاد. بمعنى؛ ان اثباته وانكاره لايقع في مدى الاستدلال البرهاني المتعارف الذي يعتمد على العناصر الخارجية المرئية، بل لا يتطلب اثباته سوى مؤونة واحدة

هي العودة إلى الضمير والوجدان.

ان سعي الانسان للحصول على الكمال ليس امراً يتطرق إليه الشك او تظرأ عليه الشبهات، بل هو من البديهيات، اذ الوصول إلى الكمال المطلوب هو طبع الانسان وطموحه، لكن مايجدر تأمله والتدبر فيه اكثر، و يصبح ــ أحياناً ــ مثار جدل او شك هو (توق الانسان الى المطلق) وسعيه نحوه، أي نزعة المرء نحو الكمال المحض المبرأ عن النقص.

و يعتبر الامام الخميني (قدس الله سره الشريف) عطش الانسان المتزايد نحو تحصيل الكمالات والترقي والعبور من كمال إلى اكمل؛ دليلا على (طلب المطلق) لدى المرء، و يقول:

(ان الانسان تواق ــ وفقاً لفطرته ــ وطالب للمطلق، وتعلمون جيداً انه يريد ان يكون القدرة المطلقة في العالم وليس لديه تعلق قلبي بأي قدرة مشوبة بالنقص، ولو ملك العالم بأسره وقيل له إن هناك عالماً آخر فانه يميل بفطرته إلى حيازة ذلك العالم وامتلاكه أيضاً.

والانسان مهما كان عالماً فانه بمجرد أن يعرف ان هناك علوماً أخرى فانه يميل ــ بالفطرة ــ لدراسة تلك العلوم واكتسابها) [٢٤].

(من المحال ان يصل إلى مستوى من القوة واقتدار ثم لايطلب المزيد منها والاعلى مستوى. انه يسعى سعياً حثيثاً للحصول على ماليس لديه فان خضعت لسيطرة الانسان كل قوى العالم ثم سمع أن هناك قوة واحدة أخرى توجد فيما وراء العالم فمن المحال ان يقول: لاأريدها) [٢٥].

نقطة الافتراق بين فكر الامام الخميني والافكار الاومانية

ان إحدى نقاط الفرق بين الفكر الانساني لدى شخصيات كالامام الخميني (رضوان الله تعالى عليه) والافكار الاومانية والليبرالية ينبغي التطرق إليها في هذا المقطع من البحث وهو موضوع (السعي نحو المطلق).

فالاومانية ترى ــ عموماً ــ أن المثال والكمال المطلوب من قبل البشر محدود وهو بالتالي سهل المنال يسير البلوغ، وهي تعادي اي مثال وتطلع بعيد المنال يخرج عن حدود كل يوم يمر به الانسان، عداء شديداً.

فاصحاب هذا الفكر يرون الانسان كالعامل الذي يقبض أجراً يومياً من صاحب العمل، فيقوم بانفاقه في آخر كل يوم.

والاشكال الاساس الذي مثل نقطة الخلاف هو أنهم يبحثون عن المثال الانساني في اطار (الانسان كما هو فعلا) وحسب تعبيرهم (الانسان الطبيعي والواقعي)! ومن هنا فان المثال الذي يبلورونه والفكر الذي ينضح في ضوء ذلك المثال يعد (واقعياً) حسب اعتقادهم.

خلافاً للفكر المتطلع نحو المطلق، حيث نرى ذلك بوضوح في كلمات سماحة الامام الخميني (قدس الله نفسه الزكية)، اذ وضمن تأييده وجود البذور الاصلية والبوادر الاساسية للمثال الانساني في نفس هذا (الانسان الموجود) ــ اي الانسان مثلما هو فعلا ــ إلا انه يؤكد ان تبلوره وتجليه ينبغي العثور عليه ومشاهدته لدى (الانسان كما يجب أن يكون).

وطبعاً فان هذا لايعني ان (الانسان كما يجب ان يكون) أي (الانسان المثالي) ينبغي ان يكون دائماً في بودقة الـ(يجب) وعليه ان يبقى في دائرة (القوة) لا (الفعل). بل ما اكثر ان يتجسد (الانسان المثالي) على صعيد الواقع المشهود و ينتقل من مرحلة (القوة) إلى طور (الفعل) وليس مفهوم التكامل الا هذا الامر نفسه، وما هدف الرسل والمصلحين على مر التاريخ سوى ايصال هذا الانسان إلى طور (الفعل).

وكما عبرت الليبرالية ذاتها، فانها لم تضع للانسان مثالا أبعد مما هو عليه الآن ــ الانسان الموجود فعلا ــ ولكن يجب أن نرى هل ان المثال الذي يوضع طبقاً لمواصفات (الانسان الموجود فعلا) يمكن أن يكون (مثالا)؟

اننا نرى ومن خلال الملامح البارزة لأي مثال والتي تمت الاشارة إليها سلفاً (من قبيل ايجاد الحوافز والدوافع للتحرك وبث الامل في قلب الانسان)

وندرك جيداً ان أخذ شيء من سمات الانسان الموجود فعلا وجعله (مثالا) أمر خاطيء، فالمثال يعني: تبيان ما يجب أن يكون عليه الانسان، ولهذا السبب فقد اعتبرناه (مصدراً لتحديد الهدف ورسمه).

ان المثال الانساني يستلزم تربية الانسان تربية تجعله (انساناً مثلما يليق به أن يكون) ولكن حينما يقال: (الانسان هو ما موجود بالفعل) فهذا يعني ــ بعبارة اخرى ــ: (كن مثلما أنت الآن وحسب) اذن، فالانسان الذي تتحدث عنه الليبرالية والوجودية المادية ــ كمثال للبشرية يعتبر ــ بعد كل ما قلناه سلفاً ــ ضرباً من الخديعة والغفلة او الاستغفال ليس إلا.

نظرة خاطفة على النظرة الليبرالية نحو الانسان

نبدأ البحث في هذا المضمار بما قاله أحد الكتاب حول النظرية الليبرالية نحو الانسان ونمط معرفتها له. يقول:

(ان نظرة الليبرالية نحو الانسان ونمط معرفتها له هو الآخر ذو سمة «طبيعية» ــ أي مستندة إلى الطبيعة المحضة ــ وواقعية، أي أنها ترى الانسان الموجود فعلا والذي كشف عن نفسه حتى الآن.

هي ــ طبعاً ــ تملك له مثالا إلا أنها لم تجعله ابعد من حدود الانسان الموجود ــ حالياً ــ كثيراً، وهي لم ترفع الانسان المطلوب بنظرها الى عنان السماء، بل اعترفت بغرائزه وعواطفه وشهواته وبالانسان نفسه في حد ذاته، ولا تطلب منه تعطيل أي من هذه الامور أو فرض حدود متصورة لها.

وفي مجال التربية، يتمثل هدفهم في تربية الانسان الاعتيادي المتعارف لا الانسان النموذجي المثالي، والانسان المتعارف ــ طبعاً ــ هو الشخص الذي يستطيع الانسجام مع المجتمع ويمكنه الاتفاق مع الآخرين)[٢٦].

وعلى أية حال، وعلى افتراض قبولنا بقيام هذه المدارس برسم (النموذج والمثال) لبني الانسان، فان هذا المؤلف أشار الى ان الامثلة النماذج التي وصفتها هذه المدارس لم تتجاوز حدود الغرائز البشرية ومواصفات (الانسان

الموجود بالفعل) وكل واحد من تلك النماذج والامثلة التي رسمتها المدارس الاومانية تعرضت لعدد كبير من التساؤلات التي لم تجد لها جواباً مناسباً قط.

فعلى سبيل المثال، ان الماركسية التي جعلت من الوصول إلى الاقتصاد السليم والمستند إلى الملكية الاشتراكية هو (المثل الاعلى) للانسان، تعرضت لتساؤل جاد يقول: وما هو هدف هذا الاقتصاد السليم؟ الجواب الحتمي لايمكن أن يكون غير (المحافظة على الحياة المادية) للانسان اذ لايمكن توقع شيء آخر أكبر وافضل من هذا لدى الاقتصاد.

وهنا يطرح هذا السؤال الذي يبقى دون جواب:

حينما يكون الهدف الاسمى والمثل الاعلى هو المحافظة على الحياة المادية، فما هو الدليل الذي يجعل كثيراً من الناس (يضحي بحياته) من أجل تحقيق هدفه الاعلى (وهو هنا الحياة المادية)؟ أليست التضحية بالحياة المادية لتحقيق الحياة المادية ضرب من السفسطة والثرثرة؟

هل تتضمن هذه الفكرة غير مايستلزم الدور وهو باطل؟

اجل، فالهدف والمثال من اجل الحياة، والحياة من أجل الهدف والمثال!! كيف يجيب اصحاب الفكرة عن هذا السؤال؟ لامناص لنا تجاه هؤلاء ــ وانطلاقاً من الواقعية التي يتظاهرون بها ــ الا الانصياع لقضية (الحياة من أجل الهدف) والقبول بها، البحث عن الاشكال والخطأ في المقولة الاولى (الهدف من اجل الحياة).

وعلى الرغم من المثال والهدف المرسوم من قبل المدارس الاومانية للبشر ينحصر في اطار الغرائز والاحتياجات الطبيعية ــ التي تحفظ، بشكل عام، الحياة المادية ــ إلا انها وعلى صعيد العمل تعكس لها واقعاً وحقيقة أخرى، اذ قد يضحي المرء ــ في بعض الاحيان ــ بغرائزه وحياته المادية من اجل (الهدف والمثل) التي يؤمن بها، أفلا يعد هذا علامة على وجود نار تحت الرماد؟! وهل هذا غير نداء الضمير الحي والوجدان اليقظ؟! واليس خير دليل على وجود شيء وقوع ذلك الشيء؟!

يقول الشاعر الايراني :

لا أعلم من يوجد في داخلي ان المتعب القلب

فانا هادئ صامت وهو في ضجيج وعجيج

أجل، ان الانسان في رأي الاومانية ــ خلافاً للانسان المثالي الفطري ــ ليس لديه هدف وتطلع يتجاوز «نفسه» ولايرى زمناً غير الزمن «الحالي»، ولايمكنه أن يفكر بشيء قبل ذلك.

المؤاخذة الأخرى هي انه بعد الوصول إلى مثل هذا المثل والهدف المحدود ــ وهو حفظ الحياة المادية للانسان ــ فلن يبقى طبعاً ثمة هدف آخر يجذب إليه الانسان و يدعو إليه البشرية و يعطيهم الامل بالمستقبل الأفضل و يصبح منطلقاً للتحرك والجدية والسعي لديه.

وفي هذه الحالة فما هو الضمان لبقاء الحياة ؟! وما هو العنصر الآخر الذي سيتولى مسؤولية منح الحياة البشرية مفهومهاواضفاء النظام على افعاله وترتيب تصرفاته، حتى يستجيب ــ بهذه الوسيلة ــ لعشقة الفطري للخلود ؟! وما هو العامل المحفز الآخر الذي بامكانه ان يخرج الانسان عن الركود والخمود ويخلصه من الدوران في حلقة مفرغة المتمثلة في حياة رتيبة متكررة مملة مادية ؟ اللهم إلا أن يقولوا بالتحرك نحو الوراء من جديد والانطلاق من المرحلة الشيوعية ــ التي يفترض وصولهم إليها ــ نحو المرحلة الاشتراكية الاولى !!

وهنا نقول : ان المحطة الأخيرة التي تتوقف عندها مثل هذه الافكار وتبقى تراوح فيها هي (العدمية واللاشيئية) ــ النيهيليسم ــ والفارق الوحيد بينها و بين (العدمية واللاشيئية) انهم لايرفعون اصواتهم علناً ــ ومنذ البدء ــ بالثرثرة والكلام الفارغ، بل انهم يصلون بالبشرية بعد العديد من المنعطفات والتعرجات في المسار الذي يرسمونه لها إلى ما تصل إليه العدمية واللاشيئية بشكل سافر ومباشر.

ومن هنا فينبغي اعتبار الفرق بينهما كالفرق بين الف و باء أو باء وألف ولمس الدور الباطل (ألف ــــ ب ــــ ج/ج ــــ ب ــــ ألف)

وكلاهما شريك في البطلان.

وهذه ــ طبعاً ــ هي الاشكالات المطروحة في وجه المادية، أي الافكار التي يطرحها الوجوديون «الاكزيستانسياليون» من امثال سارتر، والليبراليون مثل بوبر، فهي تتعرض لشتى المؤاخذات والانتقادات كفكرة مثالية وذات انموذج خاص بها!

اما اولئك المحرومون ــ هم أنفسهم ــ من هذا المثال والا نموذج المحدود والناقص فلهم حديثهم الخاص في محله ولا يحتاج أمرهم الى كثير تفصيل او مزيد بيان فالحر تكفيه الاشارة.

الخطأ في تطبيق المثال ومصاديق النموذج

الموضوع الآخر الذي ورد في كلام الامام الخميني (قدس الله نفسه الزكية) وهو في الواقع نقطة افتراق أخرى عما عداها من افكار هي الاستفادة من هذا البحث في مجال التعرف على المصداق الذي تطلبه وتتوق إليه فطرة الانسان.

ومثلما كان نهج استاذه شاه آبادي (رحمة الله عليه) فقد كان هو أيضاً (طاب ثراه) يشير إلى ان العشق والحب من الامور ذات المضاف اليه دائماً، اذ هي بحاجة ــ دائماً ــ إلى «طرف مقابل»، أي لايمكن افتراض وجود «عاشق» دون افتراض وجود معشوق، او «محب» دون «محبوب».

فمن خلال وجود الفطرة العاشقة للكمال المطلق، لدى بني الانسان، يمكن اكتشاف «الكامل المطلق» والكامل المطلق هو ذاته «الوجود المطلق»، ولكن وبناء على ورود تبيان هذا الامر في محله [٢٧] وايضاحه ان الاحتياجات الفطرية كانت موجودة (بالقوة) وتحتاج ــ لكي تظهر وتبرز ــ الى التنمية والدعم والاسناد، فلربما يحصل الخطأ في تشخيص احتياج الفطرة الاصلي، وفي تحديد صحة نموه وتطوره، وربما لم يستطع المرء ان يسمع جيداً نداء ذاته واعماقه، فيحاول أن يمد يد الاستمداد والاستعانة الى الاجنبي من أجل

الاستجابة إلى حاجته الفطرية، معتقداً ان هذا هو ماتطلبه فطرته.

و بنـاء على ذلك، فانه يرضي نفسه لمدة ما و يقنعها بما حصلت عليه، لكنه مايلبث ان يكتشف أن ذلك هو ايضاً ليس مطلوبه الاصلي، فيتوجه بحاجته الى ناحية أخرى، وكل ذلك مرده إلى الخطأ في «التطبيق» والمصداق.

فالجميع ــ اذن ــ طالبون للكمال ساعون اليه، ميالون للمثال تواقون له، الا انهم يقعون في الخطأ على صعيد تشخيص ما هو الكمال، وما هو المثال.

الامام الخميني (رضوان الله تعالى عليه) وضمن اعتباره ان المصداق الوحيد لمراد فطرة الانسان هو الكامل المطلق (الله تبارك وتعالى)؛ يشير إلى الخطأ في التطبيق ــ الذي وقع فيه بعض الاشخاص ــ فيقول:

(ان الانسان مهما كان عالماً حينما ــ يسمع بوجود علوم أخرى فانه يرغب ويميل بفطرته لتعلم تلك العلوم ودراستها. اذن فينبغي ان تكون هناك قدرة مطلقة وعلم مطلق كي يتعلق بهما قلب الانسان و يتوق إليهما، وهما متمثلتان في الله المتعال الذي نحن كلنا متوجهون إليه رغم اننا لانعلم. الانسان يريد ان يصل إلى «الحق المطلق» لكي يفنى في الله)[٢٨].

و يقول (قدس الله سره الشريف):

(ان هذه هي فطرة التوحيد، وفطرة التوجه الى الله التي توجد عند الجميع، وحتى عند الكافر الذي يسعى للوصول الى غاية ما او الحصول على شيء ما، لكنه لايشعر بكونه هو ايضاً يسعى للكمال المطلق، لكنه يخال ان هذا هو الكمال.. ان الجميع يسعون للحصول على الكمال، والجميع متوجهون إلى الله لكنهم لايشعرون بذلك.. ان الانسان ميال إلى الله تعالى لكن الانحرافات والتعرجات التي توجد في مسيرته لاتدعه يشعر بذلك)[٢٩].

و وفقاً للوضيح الذي قدمه سماحته فان الفطرة ميالة لنيل الكمال ورؤية المثال وهي في بحث دائب عن مرادها. وان التحرك الدائم والنشاط المتواصل الذي يتميز به الانسان منشأه ذلك البحث الفطري ــ عن الكمال والمثال ــ بيد أن المرء قد يخطىء في تشخيص مصاديق مراده ومطلوبه.

وفي هذا المجال فان المرحوم العلامة الطباطبائي (رحمة الله عليه) وضمن بيانه أن الفطرة الانسانية طالبة للسعادة الحقيقية، وان السعادة الحقيقية تكمن في الوصول الى «الكمال المطلق» والاستواء على قمة تعالي حياته الروحية والجسمية (وهذا هو الاسلام ودين التوحيد) فانه يقول:

(واما الانحرافات الواقعة في سير الانسان [30] نحو غايته وفي ارتقائه إلى اوج كمال فانما هو من جهة الخطأ في التطبيق لامن جهة بطلان حكم الفطرة) [31].

بناء على ذلك، فان الكثير من الاشياء والامور الذي يبدي المرء رغبته فيها خلال حياته و يتمناها ليست سوى مشتهيات كاذبة، وميله الحقيقي انما نحو شيء آخر، لكنه يرى ان تلك الاشياء والامور ترتدي حلة المحبوب فعلا وتتمظهر بلباسه فينجذب إليها، ولا يخلو هذا الانجذاب من التصنع والتكلف في بعض الاحيان.

وفي هذا الصدد، فان «بلز باسكال» وضمن كتابته بحثاً مفصلا عن القضايا الفطرية واشارته إلى كونها لا تقبل الزوال، فانه يشير الى تلك الميول الظاهرية وذلك الانجذاب الكاذب المقترن بالتصنع والتكلف، و يعتبر كل ذلك نتيجة للخطأ والاشتباه في التطبيق) [32].

وفي الاساس مالم يعثر الانسان على ضالته الحقيقية في «الموجود المطلق» و«الوجود الحق» فانه يبقى في حيرة وضلال دائمين ومقترنين بالتشو يش والاضطراب، ولن يحصل على الطمأنينة والسكينة حتى يتصل بمعدن الكمال:

«هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين»

«ألا بذكر الله تطمئن القلوب»

الامام الخميني وضمن اشارته الى هذا المعنى يعتبر «الا تصال بمعدن الكمال» و«شق استار وحجب الخطأ» السبيل الوحيد لارواء عطش الانسان نحو نيل الكمال.

و يرى سماحته انه من خلال معرفة الله وحده يمكن ان تزول الاطماع

والسعي لنيل السلطة والقدرة وو...الخ وتتحول القبائح والعيوب الى فضائل ومحاسن، وخلافاً لاولئك الذين يعتبرون السير نحو الكمال المطلق امراً غير ممكن و يظنون ان الاشخاص العاشقين لله كانوا اما قليلين واما لا وجود لهم البتة على مر التاريخ، فان الامام الخميني (طاب ثراه ومثواه) كان في شخصه هو نموذجاً بارزاً لهذا السعي الى الكمال وعشق الله (تبارك وتعالى) على صعيد العالم المعاصر، ومثل الدليل الدامغ على بطلان هذه النظرية اذ (أن أدل دليل على امكان حصول شيء؛ حصول ذلك الشيء).

وطبعاً، فمن هنا تتضح أهمية قضية التربية وحساسيتها، اذ يستطيع المربي اللائق ان يشخص اولا ــ تشخيصاً صحيحاً ــ القضايا الفطرية للانسان، و بعدها يقوم بتشخيص المصاديق الواقعية له، ويحركه في الاتجاه الصحيح، و بذلك يحول دون هدر الطاقات والاستعدادت الفطرية من خلال المشتهيات والجواذب الزائفة، وكذلك يستجيب لمتطلبات الفطرة الواقعية.

وعلى هذا الاساس ذاته، فقد كان سماحة الامام الخميني (نور الله ضريحه ومثواه) يعتبر مهمة الأنبياء والرسل الالهيين وكل المربين للفرد والامة تتجسد في معرفة الفطرة ورسم المثال الخارجي والانموذج المشهود للفطرة الميالة نحو المثال، و يقول:

(ان سيرة نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) تشير إلى انه كان قد صمم منذ البداية على تقديم منظومة متكاملة من الاخلاق الصحيحة في سبيل تربية الانسان عليها تربية صالحة، وجعله يتحلى بزينة العقائد والاعمال الصائبة كي يصل إلى غايته الفطرية، فالفطرة الانسانية فطرة توحيدية وميالة الى الله «فطرة الله التي فطر الناس عليها») [٣٣]

واساساً، ينبغي البحث عن مغزى محبوبية ونجاح الدعوات العامة والشاملة في نطاق هذه القضية، اذ ان محتوى الدعوة اذا كان شيئاً ينسجم مع ضمير بني الانسان و يتوغل في اعماق نفوسهم فانها ستحصل على جاذبية نحوها ليست من نمط الجاذبيات المعروفة المألوفة (والتي هي حصيلة التلقين والدعايات

المتواصلة) بل من نمط الجاذبية الذاتية الفطرية غير القابلة للزوال، و بالتالي فانها تتوغل في أعماق نفوسهم وتترسخ فيها.

ان الامام الخميني وضمن معرفته الدقيقة بهذا المعنى ازال اولا غبار الجهل والخرافة التي كانت حصيلة التحجر وعدم التعمق لدى بعض الاشخاص ــ من الاصدقاء ربما ! ــ او عداوة الاعداء، ازالها من على على وجه الاسلام وزينه باسباب الجمال والزينة الحقيقية فيه وخلصه من كل ما هو اجنبي عنه، ثم عرضه على العالمين باعتباره (الدين الفطري) اي الدين النابع من داخل الانسان وطويته والمتطابق مع الرغبة العامة الذاتية، عرضه على العالمين كلهم لا المسلمين فحسب، وهكذا فان خطاباته و بياناته تركت أعمق الا ثر وأوسعه خلال مدة قصيرة، وحقاً انه كان يخاطب ارواح الناس و يعبر عما يدور في خلدهم.

الليبرالية الثقافية

النقطة الأخرى هي انه مع الالتفات إلى اهمية التربية والتعليم يعلم ان لهما مظهراً يتجسد في الكشف والانكشاف والخلق والاختراع ! ومن المسلم به ان الاساليب الغربية للتربية والتعليم والتي منشؤها الافكار والنظريات الاومانية والليبرالية لايمكن نقلها وتقليدها في المجتمعات الاسلامية.

فالتربية والتعليم الغربيان تجعل طالب العلم مجرداً من القيم والمثل ولا تزوده سوى بالعلم، وهي تهلك فيه جذور الحوافز والدوافع. ومن هنا فان ثقافة كل شعب تنمو وتنضح وفقاً للنموذج والمثال الذي يؤمن به ذلك الشعب.

والجانب الثقافي من الليبرالية أخطر من بقية جوانبها وافظع، اذ بالليبرالية الثقافية تتعرض مركزية التفكير للهجوم والخطر، و بالتالي فا الحوافز والايمان يطوى بساطهما اثر ذلك، وآنذاك يصبح الطريق ممهداً لقبول الليبرالية الاقتصادية واعتناق الليبرالية السياسية و و....بل يصبح ذلك في عداد الضروريات.

ان الثقافات التي تنكر أي نمط من أنماط الايمان وتعاديه، وترى أن (العقيدة) ليست سوى (اختياراً تكتيكياً) أو ربما (جبرياً) بل و بشكل مرحلي [٣٤] وعلى هذا الأساس تنكر وجود أي شكل من اشكال المعرفة الثابتة، والثقافات التي هي بنت الساعة، والمتلونة تلوناً انتهازياًوالتي تبدل متبنياتها ومحتو ياتها بشكل تكتيكي !!؛ كلها هذه الثقافات ليست فكراً يمكن تبليغه للمجتمع الذي يحمل اعضاؤه ثوابت ومتبنيات مقدسة وهم يكنون لها كل حب وعشق و يلتزمون بها التزاماً ثابتاً.. مثل هذه الثقافات غير جديرة بالنشر في هكذا مجتمعات.

ان مقولة (من الضروري التجربة وارتكاب الخطأ) هي السمة البارزة للثقافة الليبرالية، وهي شيء غير مقبول بتاتاً من مدعي النهج المثالي والنزعة الاصولية، وان التظاهر بمثل هذا المنطق من جهة، والتحمس للمثل الانسانية والاصول الاسلامية من جهة أخرى؛ مصداق بارز للازدواجية في الموقف و(بائي تجر و باؤك لاتجر!) حيث إن الكثير من الناس قد ابتلوا به في عصرنا الحاضر.

ان الامام باعتباره زعيماً اصولياً (جسد بوضوح المثل القيم في مجتمعنا المعاصر) واستناداً إلى معرفته الدقيقة بهذه الحقيقة، اكد مراراً اهمية التربية والتعليم، ودعا كل المسلمين الذين تنبض قلوبهم بالقيم الاسلامية، الى الدفاع عن حريم الجامعات والمراكز التعليمية باعتبارها الشواخص الثقافية في البلاد، فقال في وصيته الالهية السياسية:

(من الامور المصيرية المهمة مسألة مراكز التعليم والتربية ابتداء من دور الحضانة وحتى الجامعات، ونظراً لاهميتها اكررهامكتفيابالاشارة إليها والمرور منها مرور الكرام. فعلى الشعب المنهوب المقهور ان يعلم أن ما أنزل الضربة المهلكة بايران والاسلام خلال نصف القرن الاخيريعود في معظمه إلى الجامعات.

ولو كانت الجامعات اسلامية انسانية و وطنية لاستطاعت أن تقدم

للمجتمع المئات بل الآلاف من امثال المرحوم (المدرسي).. فعلى الشعب وحكومة الجمهورية الاسلامية في جميع العصور ألا يدعوا العناصر الفاسدة ذات الاتجاهات الفكرية المنحرفة او الميول الغربية والشرقية؛ تتوغل في الجامعات والمعاهد العليا وسائر مراكز التعليم والتربية، وان يحولوا دون ذلك من اول خطوة كي لا تحدث مشكلة و يفلت الزمام.

فوصيتي الى الشباب الاعزاء في الجامعات والمدارس العليا والثانو يات هي ان ينهضوا و يقفوا بشجاعة في وجه الانحرافات كي يصونوا الاستقلال والحرية لأنفسهم ولبلدهم وشعبهم).

وطبعاً فان الحديث عن الليبرالية الثقافيةوالتلازم الوثيق بينها و بين بقية ابعاد الليبرالية (كالاقتصاد والسياسة والحكومة وو...) يستلزم مجالا مستقلا، ولكننا نشير اشارة اجمالية وعابرة، اذ وكما اكدنا مراراً ــ قولا وكتابة ــ ان الايمان بالاسلام والمثل الانسانية يتناقض مع اعتناق الثقافة والعلوم الانسانية السائدة في الغرب حتى في مجال (اصول الادارة) فالجمع بينهما غير ممكن، وعلى المعتقدين بذلك ان يعيدوا النظر في اعتقادهم.

سمات الانسان ذي النزعة المثالية

وكما عرفنا فيما تقدم ذكره انه ــ وخلافاً للأفكار الاومانية ــ اذا اعتبرنا ان الهدف والمثل الاعلى الانساني هو الوصول إلى الكمال، بل والكمال المطلق، فان هناك العديد من الفوارق الاساسية والاصولية تظهر في جميع نواحي حياة الانسان العقائدي، سواء من ناحية التفكير والعقيدة او من حيث السلوك والعمل.

بيد اننا نشير الى بعض سمات الانسان ذي النزعة المثالية و بالذات الانسان الذي يعتبر طلب الحق والتوجه الى الله هدفه الفطري، مع الاعتراف بان البحث في هذا الموضوع بحاجة الى مجال اوسع ولايمكن اداء حقه في هذه اللمحة السريعة والموضوع الوجيز:

١ ــ الغيرة والشهامة:

انطلاقاً من كون المثل الاعلى لهذا الانسان يمثل «الكمال المطلق» فان عشق المثل والانموذج يولد الايمان به، ومع حصول الايمان والاعتقاد بالكمال المطلق فلا مناص للمرء من ان يكره كل ما يعتبره نقصاً وعيباً بنظر المثل والانموذج ــ أي ما يتنافى والكمال المطلق ــ ومن هنا ينتج (الحب) و(البغض) اللذان وردا في الروايات عن اهل البيت:

(هل الايمان إلا الحب والبغض؟!)

وهذه السمة تتبلور لدى المسلم الذي تجسدت مثله التي يؤمن بها في «الالتزام بالاسلام» لديه فصار يعبر عنها عبر الايمان والعمل بمقتضى مبدأين هما:

ــ التولي

ــ التبري

اي تولي اولياء الله و بغض اعداء الله، وهو مالبث أن دخل في نطاق المنظومة العقائدية (فروع الدين).

ومن هنا، فان رفع شعار (لاشرقية ولاغربية) من قبل الامام الخميني (قدس الله سره الشريف) منذ الخطوات الاولى ــ خلافاً للتحليلات والتفسيرات والرؤى الخاطئة التي كانت تطرح من قبل بعض الاشخاص احياناً من قبيل الشعارات ذات المنطلقات السياسية الصرف ــ لم يكن رفع تلك الشعارات حصيلة دوافع واهداف مرحلية وموقتة، ولهذا السبب فانها لم تفقد لونها ولم تخسر بريقها قط بمرورالزمن ولن يحصل ذلك مستقبلا، وسيبقى (الشرق والغرب) ــ باعتبارهما الشاخصان الابرز من بين المدارس والمناهج المضادة للمثل الاسلامية ــ مكروهين ومطرودين دائماً لدى ذوي المثل وحملة القيم.

٢ ــ الالتزام والسعي نحو الاصلاح

وهما من لوازم الغيرة والحمية على القيم والمثل والحرص على صيانتها، والمسلم ذو النزعة المثالية لايمكنه ابداً ان يبقى متفرجاً مكتوف اليدين وهو يرى

شيوع المفاسد في المجتمع، بل يشعر بالغيرة على المثل والتعهد بحراستها والمحافظة عليها واستنكار كل ما يتنافى معها، وهذا ما يؤدي الى ظهور الحركات الاسلامية.

فما لم يكن للانسان اعتقاد راسخ بمثال ثابت وما لم يعمل بمقتضى ذلك الاعتقاد لايمكنه ان يفكر باصلاح المجتمع و يقدم على خطوات في هذا السبيل.

ان صرخة الاصلاح تعني استنكار الوضع القائمه والدعوة الى مجتمع اسمى مما هو قائم حالياً، و بعبارة اخرى؛ ان الاصلاح هو التمرد على الحاضر، والشوق للمستقبل.

اذن فينبغي ان تكون هناك صورة محددة المعالم عن المستقبل، وهذه هي الهدفية والنزعة المثالية. و يندرج في هذا النطاق المبدأن المعروفان: الامر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهما يطرحان كاصلين أصيلين من اصول عقيدة حملة المثل الاسلامية.

وعلى هذا الاساس فان حملة المثل والقيم لم يكونوا أبداً مجرد متفرجين مكتوفي الايدي تجاه ارتكاب القبائح والمنكرات واقتراف الآثام في المجتمع، بل كانوا دائماً بصدد النهي عن المنكرات ومنع الفواحش، وليس بالامكان ــ والحالة هذه ــ تطبيق الحرية بمفهومها الليبرالي في المجتمع الاسلامي.

ومن هذا المنطلق قال الامام الخميني (رضوان الله تعالى عليه) في وصيته: (ان الحرية بشكلها الغربي المؤدي إلى افساد الشباب بذكورهم واناثهم هي مدانة ومرفوضة من وجهة نظر الاسلام والعقل. والدعاية والاعلام والمقالات والخطابات والكتب والمجلات التي تخالف الاسلام وتتعارض معه ومع العفة العامة ومصالح البلاد؛ محرمة و يتوجب علينا جميعاً على المسلمين أن يحولوا دون نشرها وتداولها، وان يحولوا دون الحريات الهدامة.

فاذا لم يتخذ الموقف الحاسم تجاه ما هو حرام شرعاً وما يتعارض ومسيرة الشعب والبلد الاسلامي، و يتناقض وكرامة الجمهورية الاسلامية وحرمتها فكلنا مسؤول.

وعلى الجماهير وشبان حزب الله ــ ان واجهوا أحد الامور المذكورة سلفاً ــ ان يطلعوا الأجهزة الامنية (المختصة) فان قصرت في معالجة الامر والتصدي له فهم مكلفون بصد هذا الانحراف وايقافه عند حده).

هنا لاينبغي الوقوع في الخلط الذي يحاول الليبراليون الايحاء به واشاعته وهو اعتبار تقبل الانتقاد من مستلزمات الحرية بمفهومها الليبرالي واظهاره بمظهر التنافي مع الايمان والتناقض مع الاعتقاد، وانطلاقاً من كون الانتقاد أمراً ممدوحاً ومرضياً وحسنة غير خاف على أحد و بالتالي فان الآخرين سيحكمون ــ بكل جرأة وشهامة !ــ ببطلان الايمان نتيجة لذلك الخلط.

وتوضيحاً لذلك نقول:

ان تحمل المسؤولية والتمسك بالالتزام اللذين يقصدهما المسلمون حملة المثل أمر يقبل الجمع مع تقبل الانتقاد، ولا تناقض بينهما، اذ ان مكافحة المفاسد وازالة الموانع والعقبات المعرقلة للتقدم نحو تحقيق (ونيل الكمال) هما فقط المقصودان ــ بالرفض في نظر المسلمين المثاليين ــ وهذا لايشمل الاعمال والافكار المعادية والبحوث العلمية والانتقادية التي تتم بدافع كشف الحقيقة، فموضوعها غير هذا الموضوع.

وفي السياق ذاته، فمن وجهة نظر الاسلام يختلف حكم (الساب) و(الكافر الحربي) عن حكم (الكافر الذمي) فمواجهة الصنفين الاولين ومكافحتها لازمة وضرورية، خلافاً للنمط الأخير الذي تعتبر الدولة الاسلامية ملزمة بحفظ ذمته والوفاء بالعهد معه وحمايته.

والنتيجة هي ان الانسان المثالي لايمكنه ان يتساهل و يتسامح مع ما يتناقض مع مثله وقيمه و يتنافى معها، فغض النظر عن المنكرات والتسامح مع الفواحش المتناقضة مع المثل الاسلامية يعني القبول بها والرضا عنها رسمياً والاقرار بشرعيتها، حتى لو كان ذلك يجري تحت غطاء جميل و بذريعة ذكية اسمها (تعديل وتقو يم الانحراف).

بينما الليبرالية تقر بوجود الذنب والانحراف في المجتمع، بل وتعتبر

بذل الجهود والمساعي من اجل ازالته ومكافحته مناقضاً لحرية الانسان!!

ان المسلم المؤمن بالمثل والقيم لايرضى بوجود المظالم والتمايزات واشكال الجور وانماط الذنوب، فهي نوع من انواع العداء العملي مع الكمال المطلق والقيم والمثل الانسانية التي يؤمن بها، وهو في سعي دائم لاقتلاع جذور كل هذه المساوىء.

وعلى هذا الاساس، فان من مستلزمات النزعة المثالية ليس اصلاح لذات وحسب او الاقتصار على اصلاح الانسان لنفسه بل عليه السعي لاصلاح المجتمع ايضاً، وان مبدأي (الامر بالمعروف) و(النهي عن المنكر) يجسدان هذه الخصيصة، اذ يعنيان التغاير ــ الاحساس بالغيرة ــ على «الاصول(» والالتزام بها.

٣ ــ الاصولية:

ان مايطلق في العالم الغربي اليوم تحت عنوان (التطرف والاصولية) على الناس المتوجهين الى الله والذين وجدوا في الاسلام التجسيد الصحيح لمثلهم الفطرية، وما يتهمونهم به ناشيء عن ادراك غير صائب للنهج الاصولي هذا.

فالاصولية هي التي ترفض السماح للمسلم بالتساوم والتساهل مع أي شيء يخالف قدوته وانموذجه المقدس. بينما المصلحية والتهاون والمساومات السياسية المؤدية الى عقد الصفقات الماكرة المضحية بالاهداف والمثل المقدسة هي من خصائص الانسان المتربي في احضان الليبرالية والاومانية والمبني على اساس منهما، وهما لم تفلحا ــ نتيجة بحثهما في دقائق النفس الانسانية ــ في اكتشاف الاصول الثابتة في الشخصية الانسانية، كي تميل اليها وترغب فيها وتؤكد عليها باصرار.

وحقاً انهما تؤكدان ــ بزعمهما ــ أن الانسان لن ينال طوال عمره أية فكرة دائمة ولن يتوصل الى أية معرفة ثابتة فما معنىٰ تأكيدهما علىٰ واصرارهما علىٰ الفكر؟ واين مكان هذا التأكيد والاصرار من الإعراب لديهما؟!

ولهذا نجد أن كارل بوبر ــ منظر الليبرالية في العصر الحاضر ــ يعتبر

الاصولية المذهبية ــ الدينية ــ تهديداً يواجه المجتمع الليبرالي المنفتح.

٤ ــ الهدفية.

و (الاصولية) تستتبع (الهدفية)، فالاصولية تقتضي وجود حدود واطر معينة والحركة ضمن تلك الاطر والحدود المعينة، وهذه هي النقطة المقابلة والاتجاه المعاكس تماماً لـ (سياسية الابواب المفتوحة) بالمفهوم الذي توردده الليبرالية.

وفي هذا السياق يقول بوبر:

(ان المدينة الفاضلة متلهفة للتضحية بالزمن الحاضر من أجل مستقبل زاهر)[٣٥]

ومع ان هذا التصور ليس صحيحاً بشكل مطلق، بيد أنه لا يمكن الانكار أيضاً أن الانسان الهادف يضطر أحياناً ــ من أجل حفظ المثل والاصول الاساسية ــ وفي سبيل الوصول إلى هدفه المقدس، يضطر الى التضحية بـ (الحاضر) من أجل (المستقبل) الزاهر النير، وكما سوف يتم ايضاحه فيما بعد، فان سر الاشتياق الى الشهادة ــ في سبيل الله ــ والسعي في طلبها، والتضحيات، وصور الايثار و... كلها يكمن في هذه الحقيقة بالذات..

وعلى هذا فان السمة البارزة للانسان المثالي؛ عدم التسامح او التساهل في الاصول والاطر العقائدية..

وهذا الالتزام بالاصول هو الذي جعل امامنا الراحل (رحمة الله عليه) يصرخ عالياً:

(اننا نعلن بصراحة انه اذا حاول الشرق والغرب ان يقفا بوجه ديننا فسنقف بوجه دنياهم كلها).

و يقول (قدس الله نفسه الزكية):

(ان صدر الدولة والثورة مفتوح ــ دائماً ــ يرحب بكل من أراد ــ و يريد ــ الخدمة ويحن الى العودة، ولكن ليس بثمن أن يطرح اولئك مطالبهم تجاه مبادىء الثورة بالقول: لماذا قلتم (الموت لأمريكا)؟ ولما خضتم

الحرب ؟... ولماذا أطلقتم شعار اللا شرقية واللا غربية ؟ ومئات من هذه الـ (لماذا) ات الاخرى ؟.

... انني مادمت حياً فلن اسمح بوقوع الحكم في أيدي الليبراليين...

... ومادمت حياً فلن أعدل عن مبدأ «لا شرقية ولا غربية»..

والليبرالية والمولعون بها لم يدركوا حقاً معنىٰ (النهج المثالي) فاعتبروها من القضايا الموهومة والمجردة والتصورية التي لا تتجاوز «الامور الذهنية» فحسب..

ان الليبرالية ولكونها لا تحدد للانسان هدفاً ومحدداً، من جهة، ومن جهة أخرى تعتبره حراً في كل اعماله ونشاطاته بحيث لا يحق لأي الاعتراض عليه في اي عمل يقوم به، وفيما يخص القضايا الاجتماعية فانها تدعو الى اتباع نهج محافظ واسلوب «التساهل والتسامح» في المواقف والاعمال العقائدية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية و و....

ومن هذا المنطلق، صار يطلق ــ في العرف السياسي ــ على ذوي النهج المحافظ والمعتدلين اسم «الليبراليين»..

و بعبارة أخرى؛ لا يوجد في قاموس الليبرالية شيء اسمه (الارشاد الى الصلاح) ــ اي الامر بالمعروف ــ ولا (مكافحة الفساد) ــ أي النهي عن المنكر ــ كما ان حب الصالحين (التولي) و بغض الطالحين والمسيئين (التبري) لا معنىٰ لهما في نظر الليبراليين، ويمكن القول ان ما يسميه المتدينون وخملة العقيدة العرق الديني و (الغيرة والالتزام الديني) لا محل له من الاعراب في العالم الليبرالي، وبما أن (القوة المعنوية الدافعة) لا تعني عندهم شيئاً فان (القوة المعنوية الجاذبة) هي الاخرى عديمة المعنىٰ..

وانطلاقاً من ذلك فان فكرة (الاباحية الليبرالية) قد فسرت بـ (اللا ابالية) أيضاً، على الرغم من اخفائهم حقيقتها القبيحة وراء استار اسماء جميلة مثل (الوفاق الاجتماعي) و (التراضي الاجتماعي) الذي هو في الحقيقة عبارة عن المساومة مع المجتمع، والانسجام مع الجماعة وعدم التفرد والتميز عنها في

ظل أية ظروف.

الدعوة الى الاباحية العقائدية في الليبرالية

و يكلل مثل هذا التصور عن معرفة الانسان بنتيجة مفادها ماورد في كلام بعض الكتاب والمؤلفين ذوي الاتجاه الوطني. فقد كتب أحدهم نظرة الليبرالية للانسان فقال :.

(ان نظرة الليبرالية للانسان ذات نمط طبيعي وواقعي، فهي ترى الانسان على ما هو عليه الآن ومثلما أبدى نفسه حتى الوقت الحاضر، وهي تعترف بغرائزة وعواطفه وشهواته وعقله، ولا تطلب منه قط تعطيل اي منها او تحديده، ولا معنىٰ للزهد والرياضات النفسية وامثالها في نظر الليبرالية، وهمها يتلخص في تربية الانسان الطبيعي المتعارف لا الانسان النموذجي المثالي، والانسان الطبيعي والاعتيادي هو ذلك الشخص الذي ينسجم مع المجتمع و يتواءم مع الاخرين). [٣٦]

واذ ذاك فانه يوصي المدراء والمسؤولين عن الفرد والمجتمع فيقول :.

(ان هذا النمط من النظرة والمعرفة للانسان ذو قيمة عالية وخصوصاً في عالم التربية والسياسية، واول درس يتعلمه منه المدراء والمسؤولون عن الفرد والمجتمع هو درس «التسامح»، وان الشيطان موجود في ساحة الحياة وان للذنوب وجوداً رسمياً، وان من الطبيعي وجود قليل من الانحراف، وان قدراً من الخطأ صواب وقدراً من الفوضى امر مقبول متوازن، و ينبغي ان تبتنىٰ الحكومة على الناس الواقعيين، ولا ينبغي توجيه التدبير الى الامور غير الممكنة، و ينبغي عدم الانهماك في محاولة قلع جذور ما لا ينقلع، ولا يجب ان نفترض امكانية منع الامور التي لا ينبغي ان تحدث.. وان حصولنا على المعرفة الواقعية بهذا الانسان سوف تساعدنا على تعديل توقعاتنا من هذا الانسان، وستيرتب على ذلك اننا لا نحس بالجزع والضيق بمجرد رؤيتنا خطا جزئيا وانحراف ما، يصدر عن هذا الانسان. لانظن أن العالم ينبغي ان يمتلىء بملائكة او الناس المثاليين، كلا،

فحقيقة العالم متجسدة في (الناس الواقعيين) وان هؤلاء الناس هم الناس الموجودون بالفعل..

وان الذي يحس بالضيق وحراجة الصدر هو الذي يحمل توقعات لا تتحقق، اما الشخص الذي تسير الامور معه طبقاً لما كان ينتظره وحسب توقعاته فما الذي يجعله يغضب ويحس بالضيق والحنق ؟! .

وهكذا يحل (التسامح) محل (فرض الامور بالقوة)، وتحل (الرحمة) محل (الحقد والبغضاء) و(النظرة الواقعية المحمودة) محل (عبادة الاوهام) ولن يكون هناك تعريف للمربين والمدراء والمسؤولين أوضح من هذا التعريف او افضل منه، اذ (ان الانسان كائن معرض للخطأ والاشتباه والذنب، لكنه لا يهبط عن انسانيته ــ بارتكابه هذا الذنب او الخطأ ــ خطوة واحدة ولن يطرأ أي تغيير على ماهيته وجوهره، بل يبدو للعيان ماهو عليه في حقيقته، ومن هنا فينبغي التعامل معه مثلما هو عليه بالفعل ويجب ان يتم التصرف معه كما يتطلب وضعه الحالي)[٣٧]..

وهكذا يبدو من خلال هذه النظرية وكلام باقي المنظرين الليبراليين ان هؤلاء اعتبروا ــ ابتداء ــ ان المثال الانساني يعد من القضايا الوهمية، فأنكروا ــ بالتالي ــ وجود (الانسان المثالي النموذجي) وآمنوا بـ (الانسان الاعتيادي المتعارف) بمقتضى (التسامح) و(التهاون) الناشيء عن نمط تفكيرهم، بل تنازلوا حتى عن مستوى (الانسان الطبيعي المتعارف) الى ما هو أقل منه وادنى.

البناء والنهج المثالي.

لقد اتضح مما سبق ذكره ان الاصولية هي بحد ذاتها وليدة خصوصيات وصفات أساسية أخرى، و بالنظر لكون الوصول الى المثال هو غاية آمال المسلم الهادف (بل انه يطلب كل امنية وأمل آخر له من خلال جوهر ذلك المثال ومكنونه) فانه لا يفكر في نطاق حدود (اليوم) بل و يتجاوز قيود (الغد) و(الايام التي تلي الغد) اذ ربما يمكن أن يتسع (الغد) لتحقيق مثاله وتطلعه، ولذلك فهو

يوظف (اليوم) أيضاً في خدمة (الغد)، او بعبارة أخرى : يمكن ان يضحي في وقت الضرورة بـ (الحاضر) فداء لـ (المستقبل) وهذا هوما يسمية الاجانب بفكرة (المدينة الفاضلة) ويجعلونها على تضاد مع فكرة (الواقعية)..

وفي الواقع ان (المستقبل) هو المنظم للماضي والموجه للحاضر، وما لم توجد هناك صورة واضحة المعالم لا يتسنى تحليل الماضي وتنظيم الحاضر، وعن طريق معرفة المستقبل يمكن ادراك هدفية الوجود وتلازم وترابط مراحل الحياة المختلفة، ومن هنا اعتبرت معرفة المنطلق والحاضر ذات علاقة مباشرة ومقدمة ضرورية لمعرفة الغاية النهائية والمستقبل القادم :

في الرواية عن المعصوم :.

(رحم الله امرأ علم من اين وفي اين والى اين)..

ان النظرة المستشرفة للمستقبل الغائرة في أعماقه تودي الى بناء الفرد وتهذيبه و بالتالي بناء المجتمع وتهذيبه ايضاً، لان البناء ايضاً يستبطن النظر الى المستقبل واستطلاعه، وان مغزى كل هذا التأكيد والتوصيات المتكررة بذكر الموت والتفكير في عالم الاخر والتأمل في ما بعد الحياة الدنيا، مما تضمنته الايات والروايات المختلفة هو هذا الاثر التربوي والبناء الذي تتضمنه.

الازمة الاخلاقية في المناهج والافكار الاومانية

بيد أننا نرى ــ في المقابل ــ ان الافكار المضادة للمثل، والتي تتجاهل المستقبل وتتغافل عنه، قد ابتليت بازمة أخلاقية عظيمة، لان العنصر الاساس للبناء هو وجود ملاكات ومعايير وقيم محددة ومشخصة، لها وجود حقيقي وعيني، وهي ملهمة للانسان ومنيرة أمامه آفاق المستقبل، وتدعوه اليها وتجذبه نحوها.

الا ان تلك المناهج والمدارس الفكرية تعتبر الانسان ــ بمقتضى نظرتها الكونية وعقائدها و بافتراضها الحرية المطلقة ــ الخالق للقيم والموجد لها، ومانحها الاعتبار الذي تستحقه، وان خلق القيم والمثل على يد الانسان له من الاعتبار ما لباقي العقود والاتفاقات التي يبرمها الانسان والتي تفقد القيمة

الواقعية والعينية، وترتبط ــ بشكل تام ــ بنظرة الشخص الذي يمنحها الاعتبار والقيمة، ومع تغيير نظرته ورأيه فيها يتغير اعتبارها وقيمتها..

وعلى هذا الاساس نقول:

اولاً: ان الانسان لا يمنح الاعتبار و القيمة للقيم والمثل التي تستبطن المشاق وتنطوي على الصعاب..

ثانياً: ان مثل هذه القيم والمثل لا يمكنها ان تكون ذات حوافز ودوافع للانسان في حياته..

فمن وجهة نظر منهج كالوجودية ــ وهي مدرسة تنسجم مع الليبرالية وتتواءم معها ــ يعتبر (الانسان مجموعة من الخطوات والاعمال) اي انه نفس ما يمكن ان يكون عليه المرء لا ما يجب ان يكون[٣٨]..

و بناء على هذه الرؤية، فانه لم تكن هناك ملاكات ومعايير ثابتة للقيم والمثل حتى يمكنها ان تصبح معيارا وملاكا لعمل الانسان و بنائه بل ان المفاهيم المتعلقة بالمثل والاخلاق غير قابلة للانتزاع، و بعبارة أخرى انها من الامور المكتسبة التي لا يمكن توقعها وتصورها مسبقاً، و ينبغي ان تكون هي نفسها صانعة القيم والمثل بدون ان تكون هناك حتىٰ اصول محددة لصناعتها المثل والقيم[٣٩]..

والسؤال الاول الذي يواجهه هؤلاء هو:

ما هو معيار (الحسن) و(القبح) ؟.

وكيف يمكن تقسيم افعال الانسان الى حسنة وقبيحة ؟

الوجودية انكرت كون (الصحيفة السماو ية للمفاهيم الاخلاقية) يمكن ان تكون منهجا للحياة ودستورا لها، من خلال طرحها مفهوم «الثبات» ونفي الكمال المطلق (واجب الوجود). ومن جهة أخرىٰ، اعتبرت الوجدان البشري والضمير الانساني والفطرة الطالبة للكمال والتواقة للمثل والقيم (او الطبيعة البشرية حسب تعبيرهم) وهي الملاك والمعيار الداخلي لمعرفة القيم ومقارنتها؛ مذموماً وغير مرغوب فيه، وكما تعترف هي بذلك أيضاً فانها تشترك في هذه

النقطة مع الماركسية، و بهذا الشكل فهي لا تبقي اي ملاك ومعيار ثابت للقيم والمثل..

وطبعاً فقد بادر سارتر ــ ازاء هذه الازمة ــ الى طرح قضية (الاضطراب والقلق الداخلي) واعتبر ان كل فرد من افراد البشر هو في مرأى الاخرين ومشهدهم، وكأنهم يحدقون به و باعمالهم و يشاهدونه باستمرار، ومن هنا فعليه ــ في مجال اختيار عمل ما والاقدام عليه ــ ان يتحمل مسؤولية افراد الانسانية جمعاء، و ينظم سلوكه بشكل يكون فيه قدوة للاخرين...

وعلى هذا الاساس، فقد اعتبر سارتر حريته مشروطة بحرية العالمين، ولنغض النظر الان عن مساندته المستمرة ودعمه الصريح للاسرائيليين واليهود (المظلومين والمقهورين!) فهي شاهد على صدق مدعاه !!.

وان الذي يثير التساول هو انكم بانكاركم (الصحيفة السماوية للمفاهيم الاخلاقية) من جهة، ونفي الفطرة الميالة للكمال والتواقة للقيم والمثل، من جهة أخرى، قد انكرتم اي رادع خارجي او وازع داخلي ففي هذه الحالة من اين جئتم ــ اذن ــ بهذه الـ (يجب) التي تضمنها قولكم (انه يجب على المرء ان يراعي مصلحة الاخرين) ؟ و بأي قوة وحافز تريدون أن تحركوا بني الانسان ليقوم كل واحد منهم بدور الاسوة والقدوة للاخرين و ينطلق من (الانا) الفردية الى (الانا) الاجتماعية و يفضل الرغبات والاحتياجات الاجتماعية على الرغبات الفردية ؟!

واساساً أليس من الواضح ان هناك تناقضا بين أن يلقن الانسان بان يكون (مسؤولا عن نفسه)[٤٠] تارة، وفي تارة أخرى، يراد منه ان يتقبل مسؤولية الآخرين أيضاً ؟!.

والخلاصة ان الوجودية حررت البشر من نير جميع القيم الاخلاقية !! من خلال طرحها فكرة (الاخلاق المكتسبة المعتمدة على التجربة) ــ أي الاخلاق غير القابلة للتوقع من قبل ــ وفتحت امامه طريقا لا نهاية له مليئا بالشهوات والاهواء والرغبات المتنوعة، وصار يمكنه ان يمضي قدما في سلوك هذا الطريق الى

حدود يصل فيها مستوى الكمال الحيواني ! في مستوى الانحطاط والتدني بل ويحرم ــ في مسيرته الانحطاطية تلك ــ حتى من شبه التكامل الدارو يني أيضا . .

ودون أي مجاملة نقول ان الامر ينتهي به الى ما يشبه شريعة الغاب، فيصبح الشعار (الحكم لمن غلب) و يؤخذ برأي (الغالب) في قالب (الديمقراطية) و يتم تعميمه في كل شأن من الشؤون، وتسحق المفاهيم والمثل الاخلاقية بذريعة كونها آراء (الاقلية) . .

ان الانسان يضحي بكل ما يملك وجميع ما يستطيع ــ حتى بنفسه ــ من أجل الوصال ــ مع المحبوب ــ والوصول الى الهدف، وهذا دليل معبر وصادق على نظرته المستقبلية والمثالية . .

وان التضحية بـ (اليوم) من أجل (الغد) تعني التضحية بالنفس في سبيل الله (الكمال المطلق) وهي تعني الخروج من طوق الانعزال والفردية، والانفتاح والتعرف على حقائق اوسع واشمل اسمها (القيم والمثل) وان الليبرالية عاجزة عن ادراك هذا المعنى، وهي تعتبر هذه السمة على أنها (تحطيم النفس)[٤١] . .

العلاقة بين الاصولية والنظرة الواقعية

ينبغي الالتفات الى أن بعض الغرباء عن هذه الافكار والجاهلين بمكنونها ومضمونها الفذ يعتبرون (النهج المثالي) نوعاً من (التصور الذهني) المحض و(الخيال الشاعري الوهمي) والغرق في التفكير بالمستقبل غير القابل للتحقيق والبلوغ، و بالجملة انهم يعتبرونه سيرا نحو (المدينة الفاضلة)[٤٢] وذلك انما هو ناشيء عندهم عن كونهم محرومين عن رو ية المعالم الواقعية والحقائق المشهودة . .

وان هذه النظرية والتصور المنحرف للمثالية ناتج عن عدم الادراك الصحيح لها والغربة الروحية والبعد الكامل عن حملة النهج المثالي، فما المثالية

الا العشق لـ(الكمال المطلق) ومتى كان العشق موصوفاً او مدركاً !؟ انه يسمو على الوصف والادراك كليهما..

صحيح ان وجود (المثال المقدس) يتنافى مع منطق (الغاية تبرر الوسيلة) وذلك لان الهدف حينما يكون مقدسا فينبغي ان يكون اسلوب الوصول اليه واداة بلوغه مقدسا كذلك، فالوصول الى الطهر والتقدس غير ممكن الا بالطهارة والقدسية لان (الطريق) هو بحكم (العلة) بالنسبة لسالك الطريق، ومن الضروري والواجب اتخاذ نوعية العلة والمعلول وكونهما من سنخ واحد..

بيد أنه ومن منطلق أن (المقصود الاصلي) هو الوصول الى الهدف و بلوغ الغاية من خلال (افضل واقرب طريق ممكن) فقد وضعت قيود محددة لنيل المبتغى وهي (افضل واقرب طريق ممكن)، وكل ذلك من لوازم المنهج الواقعي، أي انه في الواقع ينبغي التعرف ــ ميدانياً ــ على السبيل الافضل والطريق الاقرب من بين السبل والطرق الموجودة، والا فان الطرق غير الموجودة والسبل غير المشهودة ــ اي الطرق الخيالية وغير الواقعية ــ غير ممكن سلوكها وطيها و بالتالي يصبح الوصول الى الهدف عبرها مستحيل بالنتيجة..

اختيار التكتيك، وضرورة القيادة والامامة

واذ آل الحديث الى اختيار افضل الطرق واتخاذ اقربها فينبغي القول ان أخذ القضايا الواقعية بنظر الاعتبار هو الاخر امر لا يمكن اجتنابه و بتعبير أخر؛ ان معالم (المثال) تجسد (التصميم العام) للحياة وتوضح هدفيتها، حيث قيل أنفا ان منح افعال الانسان وسلوكه صبغة الانسجام والنظام هو نتيجة متمخضة عنه..

ونحن نقول : ان الانسان محتاج بحكم الفطرة وميال، بشدة، الى امتلاك (التخطيط العام والتصميم الكلي) للحياة، والاسلام هو (مهندس) هذا التخطيط والتصميم وراسم الخارطة العامة للحياة، ولكن هذا لا يعني انه على صعيد العمل أيضاً ينبغي الاكتفاء بـ(العموميات والكليات) بل ينبغي ان توخذ

في مجال التنفيذ (الجزئيات والتفاصيل) بنظر الاعتبار و يتم البدء منها اولاً، فالتفاصيل والجزئيات هي الخطوات الموصلة الى الاهداف العامة، ومن المسلم به انه لا يغفل ــ في هذا المجال ــ عن معرفة القضايا الواقعية الموجودة، والنتيجة المترتبة على وجود ذلك التخطي والتصميم العام والشامل ان الحركة (هذا اليوم) استئناف للخطوات التي تمت (بالامس) واكمال لها، وان مجموع التحرك (امس واليوم) يساعد في الوصول الى (الغد)...

خلافاً لاولئك الفاقدين للمثال المقدس ولا يفكرون سوى بـ (اليوم) وحسب ولا يمتلكون العين البصيرة النفاذة التي ينظرون بها الى (الغد) و انهم مضطرون لترك ما كانوا يملكون (بالامس) ولا مناص لديهم من هدم ما بنوه في السابق و وضع (تخطيط وتصميم جديد) بل ولا يصلح هذا سوى لذلك (اليوم) وحسب..

والخلاصة ان ما يبغضه المسلم المثالي و ينفر منه هو (التوقف والركود والجمود) الذي يعني التأخر والتخلف والغفلة عن السير الاستكمالي نحو الانموذج والمثل الاعلى..

وطبعاً فان (الهدف المقدس) يشخص ملاكات ومعايير معينة كمقياس للفرز وللاختيار من بين تلك التكتيكات والاساليب، لكي تبقى قداسة الطريق وصحة مصانة ايضاً ضمن أخذ الامور الواقعية بنظر الاعتبار..

ومن وجهة نظر الفكر الاسلامي فان مبدأ خير الشرين[٤٣] قد وضع في متناول الانسان المثالي كمبدأ يمكنه ان يساعد الانسان في عملية الانتخاب والاختيار بين أحد الطريقين الموجودين (وكلاهما غير مرغوب فيه ولا مستساغ) في الحالات الاضطرارية وهي حالات تحصل في ظروف استثنائية خاصة، فيصبح الانسان المثالي مضطراً لاختيار احد الطريقين ومن خلال ذلك ندرك اهتمام الاسلام بالقضايا الواقعية..

وليس هذا سوى (منهجاً واقعياً) في ثياب (منهج مثالي) فلربما غدا حفظ المثال والهدف المقدس متعذراً ومستحيلا حتى من خلال التضحية ولو بالنفس في

هذه اللحظات الحساسة والمصيرية كذلك، فليس مما يبعث على الفخر والتباهي أن تتم التبعية ويحصل الاقتداء في الواضحات والمحكمات ــ التي يمتلىء بها الطريق ــ بل المفخرة هي في (اطاعة القائد) و (بقاء الامة ملتفة حول الامام) في وقت تشخيص الضرورات واختيار أهون الشرين في طريق السير نحو الهدف، فهذا هو عينه النهج المثالي وهو من لوازم الاصولية التي لا تنفصل عنها..

فمن القضايا التي تعكس لنا فن الامامة ونبوغ القيادة ومهارتها في اختيار الطريق واتخاذ التكتيك المناسب في اتجاه السير نحو الهدف والتي صدرت من القادة والزعماء النوابغ الذين رباهم الاسلام وارتووا من الكوثر القرآني الزلال، يمكن ان نذكر:

ــ قبول صلح الحديبية من قبل الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي كان هو المبين الاول للقيم الانسانية والمثل الاصيلة، بصيغة أحكام الاسلام (السامية) بل وبطريقة كانت ــ بالنسبة لبعض الصحابة ــ مثيرة للشك والشبهة..

ــ قبول الامام الحسن المجتبى ــ عليه السلام ــ بالهدنة والصلح المفروض عليه، مع معاوية.

ــ سكوت الامام الحسين ــ عليه السلام ــ مدة سبع سنوات طيلة حكومة معاوية وعدم اعلانه الثورة ضده.

ــ عدم تأييد الامام علي بن الحسين السجاد ــ عليه السلام ــ تأييداً علنيا وصريحا للثورات والانتفاضات والحركات والمعادية للحكومة في عصره.

ــ انهماك الامام الباقر (عليه السلام) وانكباب الامام الصادق (عليه السلام) على تقوية اسس الفقه وتشييد صرح الفكر الاسلامي وعدم اقدامهما على أي خطوة عملية معادية لحكام الجور، بل وفي أفضل الظروف الممكنة التي خاض فيها بنو أمية وبنو العباس صراعا ومريرا ونزاعا عنيفا، وكان يبدو ــ حسب الظاهر ــ ان أي طرف ثالث كان يمكنه ان يحقق فائدة طيبة و يستغل ذلك النزاع والصراع بينهما.

ـ قبول الامام الرضا ـ عليه السلام ـ بولاية العهد من المأمون.

ـ وأخيراً تجلىٰ ذلك بوضوح في شرب امامنا العزيز العارف الراحل كأس السم وقبوله رسميا القرار المرقم ٥٩٨ ـ الصادر عن مجلس الامن الدولي بشأن وقف الحرب الايرانية/العراقية ـ وذلك بعد سنوات طويلة من الثبات والمقاومة واصراره هو وصحبه الاوفياء وجنده الابطال على ترديد هتاف (حرباً حرباً حتى النصر).

هذه كلها انماط أسمى واعلى، من الايثار والتضحية في سبيل الهدف، واذا تجلى للعيان تفاني الناس الاصوليين ـ او المتطرفين كما يسمونهم ! ـ وتوقهم للشهادة وتقحمهم الاخطار، بما يخرج عن الاطر التحليلية والتفسيرات المادية التي يطرحها الاشخاص المترعرعون في احضان الوجودية والليبرالية والمادية وبقية المناهج والمدارس المنبثقة عن الاومانية والعدمية اللاشيئية (النيهيليزم)، فلم يجدوا ما يصفونها به سوى (الانتحار)... اذا كان هذا قد حصل حتى الان فان هناك نمطا آخر من التضحية والايثار تجلى بموافقة الامام الجليل على القرار ٥٩٨ مما اوقع الافكار والمناهج الاخرى في تخبط وتعقيد لم تجد معه من اصطلاح او تفسير تطلقه عليه حتى من بين مصطلحاتها ومفرداتها السابقة، وها هنا بالضبط يتجلى المنطق الجميل القائل (اننا مكلفون باداء وظيفتنا ولسنا مكلفين بالوصول الى النتيجة)..

وطبعاً فان من نافلة القول ان اتخاذ الاسلوب وانتخاب الطريقة المودية الى الوصول نحو الهدف شيء، والمساومة على الهدف شيء آخر!.

ففي الحالة الاولى نجد هدف الانسان ومثله الاعلى هو الذي يوجد لديه الحافز والدافع الذي يجعله يبادر الى الاقدام والعمل بهذا الشكل، وبناء على ذلك، فانه في نفس الوقت الذي هو واقعي النظرة فهو (اصولي) النهج.

خلافاً للحالة الثانية التي هي شكل من اشكال التراجع عن المواقف الاصولية وغض النظر عن (الهدف) ونمط من انماط التسامح الليبرالي في العقيدة والمثل.

وأيضا، بل يصبح ذلك بحاجة الى ما هو أثمن واعلى حتى من التضحية بالنفس وهي التضحية بماء الوجه والسمعة والكرامة والشخصية الظاهرية، وتشخيص مواضع اتخاذ التكتيكات المختلفة نفسه يعتبر من الامور المتميزة بالدقة والحساسية الخاصة.

وفي هذا المنعطف الحرج تتجلى ضرورة اصل (القيادة والزعامة) اذ ان أحدى المهام الرئيسة والمهمة، بل وان اكثر وظائف القيادة أصالة هو تشخيص الضرورات، وبموازاتها تعيين التكتيكات وتعيين الاساليب والطرق الموصلة ــ بشكل افضل واسرع ــ نحو الهدف..

وان النقطة المركزية التي تتبلور فيها عبقرية القيادة و يتجلى نبوغها هي هذه بالذات، والا فان الحالات والمواضع التي تخلو من الايهام والابهام يبدو فيها دور القيادة باهتاً وغير بارز ويخلو من المعالم البينة الواضحة..

وفي المقابل أيضا، فان فن (الا تباع والاقتداء) يتجلى الحالة الاولى هي بحد ذاتها من اساليب التحرك ومن انماط السير نحو تحقيق الهدف، اما الثانية فهي ركود وتراجع عن الهدف ونكوص عن تحقيقه.

الحكومة والسياسة في النظرة الكونية المثالية في الاسلام

ان البحث في موضوع (الحكومة) يتطلب فرصة كافية ومجالا واسعاً، ولكن و بناء على ما تم ذكره في موضوعي «اهمية القيادة والتوجية) و(دور التربية والتعليم في السير نحو الهدف والمثال) يعرف أن كل مسلم بحاجة الى التوجيه والقيادة من أجل الوصول الى أهدافه الانسانية الاصيلة، وفي هذا المجال فان (الوحي الالهي) المتمثل في تعاليم دين الاسلام قام بتبيين كيفية هذا التوجية وهذه القيادة، وجعل على عاتق الرسل والأئمة ومن بعدهم الفقهاء المطلعين على جميع نواحي الدين ومجالاته؛ مسؤولية التوجية والقيادة..

وعلى هذا الاساس فان (الحكومة الاسلامية) تتولى على عاتقها قيادة المجتمع وتوجيهه نحو بلوغ الاهداف والمثل الانسانية، و بتعبير أخر انها تتولى

بناء مجتمع من النوع الذي يجب ان يقوم في البلد، والمثال الملهم لها في ذلك هو المجتمع النموذجي المثالي في عصر ظهور الامام صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه) والحكومة الاسلامية المهدو ية . .

و ينبغي ان تقوم الحكومات الاسلامية قبل ظهور الامام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) لتنهض بدورها القيادي الهادف لايصال الفرد والمجتمع الى مستوى عال من التكامل، بحيث يكون مهيا للاشتراك في الثورة والنهضة العالمية التي سيعلنها حضرته، و يشارك بدور فعال في مجتمع عصر الظهور، وليس معنى «الانتظار» سوى الحصول على هذا الاستعداد والوصول الى هذا التهيو.

وان الوصول الى ذلك المجتمع النموذجي المثالي لا يتيسر الا من خلال السير الاستكمالي نحوه، وهو السير الذي يكون منطلقه رغبة بني الانسان وارادتهم، والدولة المهدو ية هي ثمرة نفس ذلك السير الاستكمالي وليس من قبيل الانفجار التاريخي الماركسي الذي هو حصيلة الصراع الطبقي !

وان حديث الامام الخميني عن اتصال الحكومة الاسلامية بالدولة المهدو ية الكريمة هو ثمرة لهذا الفهم والتصور عن الحكومة الاسلامية التي تقام قبل عصر الظهور، والتصور الشامل عن المجتمع النموذجي المثالي لعصر الظهور، ومن هنا فقد كان يفسر ــ بصراحة ــ معنى «السياسة والحكومة» بـ «القيادة»، فيقول : .

(ان (مهمة) السياسة هي ان تقوم بتوجيه المجتمع وقيادته، وان تأخذ بنظر الاعتبار جميع مصالحه وتنظر نظرة شمولية الى جميع نواحي الانسان والمجتمع وتقوم بتوجيهها باتجاه ذلك الامر الذي فيه صلاحهم، وهذا مختص بالانبياء، فليس بمستطاع الاخرين ان يديروا هذه السياسة، ولذا فان هذا النمط من السياسة مختص بالانبياء والاولياء وتبعاً لهم علماء الاسلام الواعين)[٤٤]، وثمة نقطة لا تخلو الاشارة اليها من الفائدة وهي :

فيما يخص مفهوم (السياسة) و(الحكومة) هناك العديد من التعاريف المختلفة طرحت في هذا المضمار. ولكن المواخذة الاساس التي تطرح عليها هي

كونها (انفعالية) بمعنى ان معظمها قد طرح للمجتمعات البشرية تحت تأثير الصيغ والانظمة السياسية الحاكمة..

ولكن يمكن القول باختصار: انه لما كانت السياسة تهتم بالجانب الاجتماعي للانسان فانها ــ شأنها شأن سائر العلوم الانسانية والاجتماعية ــ تخضع للتأثير المباشر للانسان العالم، بحيث انه ما لم يتم الحصول على مفهوم جامع وكامل لهما لا يمكن تقديم تعريف صحيح لـ(السياسة) ولبقية المصطلحات والمقولات الموجودة في العلوم الانسانية..

ومن هنا، يمكن الحصول على نتيجة مفادها ان تعريف (السياسة) و(الحكومة) يختلف باختلاف المناهج والنظريات المختلفة، ولم يعد بالامكان الاقتناع بهذه التعريفات لمرحلة انتقالية واقتراضها من الاخرين..

وعلى هذا الاساس، ونظراً للنظرة الاسلامية المتعمقة في معرفة الانسان والتي استعرضنا منظرا عاما لها في هذه المقالة وقمنا بالقاء نظرة اجمالية عليها في طيات البحث؛ يمكن القول ان السياسية هي (فن ممارسة الحكومة)من جهة، ومن جهة أخرى، يمكن تفسير الحكومة بـ(التوجيه والقيادة).

النظرية الليبرالية في الحكم

تعرف الليبرالية الانسان ــ بمقتضى مشربها الاوماني ــ بانه كائن حرّ و(الليبرالية) (Liberalism) كلمة مشتقة من الجذر (Liber) وهو يعني بدوره (الحر)، والليبرالية ــ في جميع نواحيها ــ تعني الحرية المطلقة.

ونظراً لكون هذه الحرية تغاير مفهومها المصطلح المتعارف ــ الذي يعد قيمة وكمالا اجتماعيا ــ فمن أجل الحيلولة دون الوقوع في الخلط والخطأ ينبغي التعبير عن (الحرية الليبرالية) بـ(الاباحية).

أي بمعنى أن يكون للانسان مطلق الحرية في القيام بأي عمل ولايكون مقيداً في أي مكان وعلى يد أي أحد يذكر بأي قيد أو التزام، وفي هذا السياق، يعد أي أمر مقدس يسعى لغرض (التحديد) او(التضييق) على هذه الحرية امراً

مذموماً بغيضاً.

وقد وصف أحد الكتاب اصول الفكر الليبرالي في موضوع كتبه عن الليبرالية، فقال: (ان الصورة المبسطة لليبرالية تتمثل في كونها تعني التحرر من قيد المقدسات، أي انه ليس هناك أي شيء او أي شخص يحمل صفة القدسية، ولسان حال الليبراليين يقول: اريحونا من شر المقدسات.

وتتسم الليبرالية بالتمرد على أي نمط من انماط الولاية سواء كانت ولاية دينية ام ملكية او فكرية، وهذا من اعمدة التفكير الليبرالي.. الليبرالية شكل من اشكال الانعتاق من القيود ورفض القبول بأي قيد او التزام، ولذلك فان الليبراليين يحاولون اجتناب القانون والتهرب منه.

يقول (هايك) نقلا عما قاله بنتام):

(ان كل قانون يعد شراً، لان القانون منتهك للحرية).

ومعرفة الانسان في الليبرالية هي الاخرى ذات طابع يتصف بالسمة الطبيعية والواقعية! أي أنها ترى الانسان هو هذا الشخص الموجود بالفعل والذي أبدى نفسه حتى الآن، وهي طبعاً تمتلك له المثال والهدف لكنه لايتجاوز ــ في أي حين من الاحيان ــ حدود الانسان الموجود ومواصفاته الحالية، وهي لا تبحث عن انسانها المطلوب، في السماء).

ومثلما يلاحظ فان من الخصائص البارزة لعصبة الليبرالية معاداة كل واحدة من المثل. وطبعاً فان مثل هذه النظرة الكونية الخاصة تقتضي وجود برنامج حكومي وحياتي يتناسب مع تلك الرؤية، وهذا هو سر مخالفتهم (الولاية الدينية) لكونها تنطوي على هذا النهج المثالي وتبعاته.

و يركز كارل بوبر (المدافع الشديد عن الليبرالية في الزمن المعاصر في كتابه المسمى (في نقد نظرية افلاطون في الحكم) يركز محور مخالفته على المنهج المثالي فيها، و يوحي هجومه الشديد على تلك النظرية بأن ثبوت كون أي نظرية لديهم أنها نظرية ذات نهج مثالي بمثابة ثبوت تهمة تكفي ــ في نظرهم ــ لاسقاط تلك النظرية من الاعتبار والسعي لتفنيدها تماماً.

يقول بوبر:

(ان افلاطون كان فيلسوفاً يتحدث فيما يتصل بالعالم الالهي، و يذكر اولا ان هذا الفيلسوف يودع العنان تماماً في يد الحافز كي يتحقق اكتشافه السماوي في نطاق الفرد، وعلى صعيد المدينة؛ تلك المدينة التي لن ترى وجه السعادة الا ان أكون فنانوها من النمط الذي يعتبر العالم الالهي قدوة لهم ومثلا أعلى).

و يتضح مبعث خلافه مع افلاطون من خلال هذه الاسطر القليلة التي نقلناها من نظريته. فافلاطون ــ بالدرجة الاولى ــ يعتبر فيلسوفاً يقف على رأس حكومته ومن خصائصه انه اولا قد اودع عنانه في يد الحوافز والمثل، وثانياً انه اعتبر العالم الالهي قدوته ومثله الاعلى، ومن وجهة نظر الليبرالية فان كل واحد من هاتين الخصوصيتين كافية ــ لوحدها ــ لكي تسعى الليبرالية من أجل اسقاط الاعتبار عن نظريته و بذل الجهود لتفنيدها.

خصائص الحكومة المثالية من وجهة نظر كارل بوبر

يمكن التعرف ــ بشكل عام ــ على خصائص الحكومة المثالية من وجهة نظر بوبر وتشخيصها كالتالي:

١ ــ تعيين الهدف النهائي، وفي هذا الشأن يوضح بوبر (المقصود بالهدف النهائي هو ليس الاهداف الجزئية والمتوسطة المدى التي هي ليست سوى خطوات موصلة نحو «الهدف النهائي» فحسب).

وهذا النهج الهادف مما تبغضه الليبرالية وتنزعج منه بشدة، اذ تعتبره بمثابة استناد إلى امر لايقع في متناول اليد واعتماد على قضية تقع خارج نطاق الامور الممكن الحصول عليها، ولذلك فهي تعبر عنه بصيغ لفظية مختلفة من قبيل (المدينة الفاضلة) و(احلام البحث عن الكمال) و(الخيال الشاعري الوردي) و(الحلم غير العقلاني) و(الاسلوب الرومانطيقي) و و.. الخ

٢ ــ الخصوصية الاخرى للحكومة الهادفة؛ توظيف كل القوى وحشد

كل الامكانات من اجل الوصول الى الهدف النهائي، وكما تصرح هي نفسها فان كل الاعمال السياسية تسخر في خدمة الوصول إلى الهدف النهائي.

وبناء على ذلك، فان الحكومة الهادفة والمثالية لايمكن أن تكون سياستها ـ في أي حين من الاحيان ـ مبنية على اساس (الابواب المفتوحة) في مختلف النواحي الداخلية والخارجية، الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها.

خلافاً لما تطمع فيه الليبرالية وترغب به، لأن (الهدفية) تستتبع (الاصولية) على اثرها، وهذه تقوم بفرض القيود والالتزامات والتحديدات وتوجب التحرك طبقاً لاطر محددة، وهذه ـ بالضبط ـ النقطة المواجهة والرأي المخالف لسياسة (الابواب المفتوحة) بالمفهوم الذي تحمله الليبرالية.

وفي هذا الصدد، يقول بوبر:

(ان المدينة الفاضلة متشوقة للتضحية بالزمن الحاضر من أجل الحصول على المستقبل الزاهر).

وعلى الرغم من عدم صحة هذا الفهم والتصور بشكل مطلق، ولكن مما لايقبل الانكار هو ان الحكومة الهادفة تضطر ـ أحياناً ـ في سبيل المحافظة على المثل والقيم والاصول الاساسية من أجل بلوغ هدفها المقدس، تضطر للتضحية بـ (الحاضر) سعياً لضمان (المستقبل الزاهر) وكما سوف يقال فان سر كل ذلك التلهف للاستشهاد وكل تلك التضحيات وصور الايثار وغيرها، يكمن في هذه القضية.

٣ ـ الخصوصية الثالثة للحكومة المثالية ـ من وجهة نظر بوبر ـ الكفاح الجذري المتواصل ضد المفاسد الاجتماعية، والتي يعبر عنها بأنها مبدأ (الراديكالية) ـ بمعنى التعمق والتوغل في جذور الامور ـ في المدينة الفاضلة، و يوضح ذلك بالقول:

(انه يعني التلهف لبناء عالم ليس فقط افضل من عالمنا واكثر عقلانية منه، بل ومبدأ من كل قبائحه وأدوائه، وطبعاً ذلك لايعني انه سيكون لحافاً ذا اربعين قطعة، او قطعة قماش مرقعة قديمة، بل مجتمعاً جديداً من قمة رأسه إلى

اخص قدميه، وعالماً شاباً وجميل حقاً).

٤ ــ والخصوصية الرابعة التي يتحدث عنها كارل بوبر و يبدي حساسية مفرطة منها هي: انعدام الانانية او (تحطيم الذات والانكسار الذاتي) عند الحكومة المثالية. فالامبريالية ــ وبمقتضى مشربها الاوماني ــ تعتبر عقل الانسان محور كل البرامج والخطط والافكار التي لديها.

وطبعاً فان المقصود بالانسان هو الانسان الذي يقصدونه هم وهو الشخص المادي وذو الكيان الواحد، ومن هنا فانه يرفض رفضاً تاماً ان يكون نموذج الانسان ومثاله ابعد من ذات الانسان، وهو يؤكد ان مهمة المثال هي حفظ وجود الانسان، ولكن المثال المرسوم من قبل المذاهب والنظريات والحكومات الالهية يمكنه ان يكون بدرجة من القدسية بحيث ان على المرء ان يسعى هو لحماية المثل ــ وليس مثلما تريد الليبرالية ــ.

وعلى الرغم من ذلك، فان الليبرالية و بقية المذاهب الاومانية ترى نفسها تواجه (الوقوع في الدور والتسلسل الباطل) ولا تجد لديها جواباً مقنعاً، وهو يتجسد في انه كثيراً ما يرى انه حتى الانسان يصورونه هم كثيراً ما يضحي بنفسه قرباناً للمثل التي يؤمن بها ــ وهي مثل الليبرالية طبعاً ــ بمقتضى ميله الفطري ونزعته الفطرية، فهو يضحي بنفسه اذن من أجل المثل التي يعتبرون مهمتها في تحليلا تهم حفظ وجود الانسان.

و بناء على ذلك فانهم يعتبرون الاعمال الفدائية والسعي نحو الاستشهاد والاعمال البطولية الاستبسالية؛ يعتبرونها من باب (الانتحار).

والخلاصة ان بوبر يعتبر مثل تلك الحكومة التي تحمل مثل تلك الخصوصيات (طريقة هندسية من نمط المدينة الفاضلة) و يتكلم عها باسلوب معاد، وفي المقابل فانه يقترح طريقة هندسية تدريجية او سياسة (الجزء فالجزء) او (الخطوة خطوة، وهي في الواقع نفس الطريقة العلمية والعقلانية في مجال الادارة، والتي وردت في كلام الآخرين، وهي تخلو من أي هدف ومثال مقدس، وسوف يتضح في البحوث القادمة محواها وجوهرها.

وحسبما يصرح بوبر، فان الحكومة الليبرالية عبر اتخاذها سياسة (الخطوة خطوة) لن تقطع ادنى عهد على نفسها بأن تقوم بمكافحة المفاسد الاجتماعية ولا تحس بأي التزام في هذا المضمار، وكل ما تطمح إليه وترجو تحقيقه هو (اتخاذ اسلوب يستهدف مواجهة اعظم المساوىء التي ابتلي بها المجتمع واكثرها فورية.

ومن المعروف طبعاً ان تلك المساوىء الاكثر فورية والاعظم حجماً لايمكن ان تكن من نمط المساوىء والمفاسد الاخلاقية والعقائدية الموجودة على مستوى المجتمع، لانه اذا تقرر ان يكون كل انسان حراً في اعماله مهما كان معتقدة ــ من وجهة نظر الليبرالية طبعاً ــ دون أن يكون لأحد الحق في ادنى تعرض له أو اعتراض عليه، فبناء على ذلك فان اعظم المساوىء التي تحظى بالاهتمام الاكبر في ضرورة مكافحتها هي قبل غيرها هي مكافحة الموانع التي تحد من هذه الحرية المطلقة في جميع النواحي، ومن جملتها العقائد والمقدسات الدينية التي تضع اصولا وقواعد معينة لتنظيم سلوك الناس واعمالهم، وترسم اطاراً مشخصاً لهم في سياق الوصول الى الهدف النهائي.

كما أن الحكومة الليبرالية ــ وخلافاً للحكومة الالهية ــ لاتمتلك دور الهادي والموجه والمرشد، لانه لا وجود للهدف ــ اولا ــ حتى يتم توجيه الناس وارشادهم نحوه، ولأن الحكومة ــ ثانياً ــ منتخبة من قبل الاكثرية، وهي الاكثرية الليبرالية ــ طبعاً ــ المؤمنة بالحرية المطلقة! ومن هنا ــ و بناء على قول بعض مؤيدي هذه النظرية ــ فان الحكومة الليبرالية تمتلك حق التدخل بمستوى تدخل (رجل شرطة) وحسب ليس إلا.

و بهذا الشكل فان اقوالا من قبل (طب خاطراً ولا تفكر بشيء) و(ان كنت تريد ألا تفتضح فكن موافقاً للمجموع دوماً) و(عيسى بدينه، وموسى بدينه) وامثالها تمثل شعارات الليبرالية.

ومن هنا تتضح معاني (انعدام الصفة الانانية) و(تحطيم الذات والانكسار الذاتي) التي تتصف بها الحكومة المثالية، والتي يعتبرها بوبر نقاط

ضعف في تلك الحكومة.

والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين

السيد عباس حسيني قائممقامي

تهران / آذار ١٩٩١

الهوامش والمصادر

١ ــ راجع: روفير/ الحياة والهدفية/ ترجمة الشيباني / ط. شركة انتشار/ ص ٣٤.

٢ ــ المصدر نفسه/ ص ٣٤.

٣ ــ كنموذج لذلك راجع مانشر في مجلة (كيهان انديشة)/ العرفان والقرآن من وجهة نظر الامام/ كاتب هذه المقالة/ العدد ٢٩.

٤ ــ راجع: صحيفة كيهان في ٢٥ و٢٦ ايلول ١٩٩١/ مقالة (الوحدة: لماذا وكيف/ كاتب هذه المقالة.

٥ ــ المصدر نفسه.

٦ ــ نيهيليسم NihiIism كلمة فرنسية معناها (انكار كل النواميس الطبيعية والدينية) و(اللاشيئية) و(العدمية) وهي (مذهب ينكر أن يكون للمبادىء الاخلاقية أي اساس موضوعي) وتعني كذلك (انكار كل دين وكل اعتقاد) وهي (فكرة تقول ان القيم والمعتقدات التقليدية لا أساس لها من الصحة، وان الوجود لامعنى له ولا غناء فيه)«المترجم، نقلا عن بعض القواميس اللغوية الانكليزية).

٧ ــ الاومانية Humanism :(الحركة الانسانية/ الفلسفة الانسانية)(فلسفة تؤكد على قيمة الانسان وقدرته على تحقيق الذات من طريق العقل، وكثيراً ما ترفض الايمان بأية قوة خارقة للطبيعة)«المترجم ــ نقلا عن بعض القواميس اللغوية الانكليزية».

٩ ــ راجع: اسماعيل الخوئي /جلال بامدعي.

١٠ ــ ابو علي بن سينا/ مجموعة الرسائل / من ص ٣٣٩ ــ ٣٤١.

١١ ــ صدر المتألهين الشيرازي/ الاسفار/ ٩٦٠/ ص ٢٤١ من الطبعة الجديدة.

١٢ ــ راجع: الحاج ملا هادي السبزواري /الحاشية على الاسفار/ ج ٩/ص ٢٤١.

١٣ ــ راجع مثلا: ــ محي الدين بن العربي/ فصوص الحكم/ فص اليوسي / ص ٣٨٢ بشرح القيصري. ــ ابو علي بن سينا/ الاشارات والتنبيهات/ النمط الثامن.

١٤ ــ محمد علي الشاه آبادي / رشحات البحار/ ص ٣٦ و٣٧.

١٥ ــ المصدر نفسه/ ص ٣٧.

١٦ ــ من الواضح أن هناك تعارضاً بين مضمون هذه الفقرة وما ورد قبل عدة أسطر من أن المرحوم الشاه آبادي تحدث (معترضاً على كون التوحيد فطرياً)! واعتقد ان الصحيح أن المؤلف أخطأ في نسبة الاعتراض على فطرية الدين الى المرحوم الشاه آبادي اولا «المترجم»

١٧ ــ الامام الخميني /الاربعون حديثا.

١٨ ــ المصدر نفسه/ ص ١٥٥.

١٩ ــ المصدر نفسه/ ص ١٥٦.

٢٠ ــ محرم راز (محرم الاسرار)/ ص ١٣ و١٤.

٢١ ــ الامام الخميني /الاربعون حديثاً/ ص ١٥٥.

٢٢ ــ صحيفه نور /ج ١٢/ ص ٢٢٤.

٢٣ ــ الامام الخميني / الاربعون حديثاً/ ص ١٥٥.

٢٤ ــ محرم راز/ ص ١٣ و١٤.

٢٥ ــ المصدر نفسه.

٢٦ ــ عبد الكريم سروش / مجلة (آئينة أنديشة ــ مرآة الفكر)/العدد ٣١.

٢٧ ــ راجع: لكاتب هذه المقالة/ المثال الانساني والانسان المثالي/ مجلة كيهان انديشة/ العدد ٣٥.

٢٨ ــ من رسالة الامام الخميني (رضوان الله عليه) إلى ميخائيل غورباتشوف.

٢٩ ــ صحيفة نور/ج ١٢/ ص ٢٢٤.

٣٠ ــ في الاصل والمصدر كليهما (الانسانية) بدلا من (الانساني) لكن الثاني هو الصحيح باعتبار وجود الضمير المذكر في السياق كثيراً، وهوينبغي أن يعود على مذكر لا مؤنث «المترجم».

٣١ ــ محمد حسين الطباطبائي /الميزان في تفسير القرآن/ ج ٤/ ص ١٣١.

٣٢ ــ راجع: الفلسفة النظرية /ج ١/ص ١٤٠/ط. انتشارات علمي وفرهنكي.

٣٣ ــ صحيفه نور/ ج ١٢/ ص ٢٢٤.

٣٤ ــ على سبيل المثال، راجع: كارل بوبر/ البحث غير التام /ص ١٧٦ ــ ١٧٩ وكذلك راجع مقدمة مترجمة.

٣٥ ــ كارل بوبر/ الظنون والتفنيدات / ترجمة آرام/ ص ٤٥٠/ط. شركة انتشار.

٣٦ ــ مجلة (آئينة انديشة) /العدد ١.

٣٧ ــ عبد الكريم سروش /مشاهدة الصنع/ ص ٢٦٥.

٣٨ ــ راجع : جان بول سارتر/ الوجودية واصالة البشر/ ص ٤٩ .

٣٩ ــ المصدر نفسه/ ص ٦١ .

٤٠ ــ المصدر نفسه/ ص ٢٥ .

٤١ ــ راجع : الظنون والتفنيدات /ص ٤٤٥ .

٤٢ ــ على سبيل المثال : كارل بوبر/ المجتمع المتفتح واعداؤه/ ترجمة فولادوند/ ج ٢/ ص٣٦٥ .
وراجع كذلك نفس المصدر/ ج٣/ ص ٧٢٠
كذلك : الظنون والتفنيدات / ص ٤٥١ .

٤٣ ــ ربما يقصد الكاتب مبدأ اختيار (أهون الشرين) في حالة التزاحم بين الامور «المترجم» .

٤٤ ــ صحيفة نور/ ج ١٣/ ص ٢١٧ ــ ٢١٨ .